جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الشريعة

مقاصد الشريعة الإسلامية من العبادات

(الصلاة أنموذجا)

مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس
في العلوم الإسلامية – تخصص: فقه و أصوله

الطالب:
– سيف الدين فريجات

المشرف:
– د.محمود باي

السنة الجامعية: 1436–1437هـ/2015–2016م

الإهـداء

❖ إلى والدي الكريمين اللذين ربياني صغيرا.

❖ إلى زوجتي و أبنائي و إخوتي الدين صبروا معي.

❖ إلى شيوخي و أساتذتي الدين صرفوا أوقاتهم في تعليمي و حسن توجيهي.

❖ إلى كل من أسدى إلي معروفا،أو دعا لي في ظهر الغيب.

الشكر و التقدير

❖ الحمد لله على نعمه العظيمة، و آلائه الجسيمة التي لا تعد و لا تحصى كثرة، فله الحمد بالإسلام، و له الحمد بالقران، حمدا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه.

❖ ثم الشكر و الامتنان للمشرف على الرسالة: فضيلة الأستاذ الدكتور محمود باي الذي تولى الإشراف على هذا العمل و الذي كان لتوجيهاته ابلغ الأثر في انجاز هذه الرسالة.

❖ ثم الشكر إلى جامعة الشهيد حمة لخضر التي احتضنتني في مرحلة الليسانس، و إلى كل القائمين عليها.

❖ كما لا يفوتني في هدا المقام الكريم أن اشكر زوجتي الكريمة و أبنائي الأعزاء و كل من مد لي يد العون و المساعدة، فلهم مني جزيل الشكر و خالص الدعاء.

❖ و ختاما اسأل الله العظيم باسمائه الحسنى و صفاته العلى أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه العظيم، و يثقل به موازيني، و ينفعني به يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، و صل الله على نبينا و على اله و صحبه.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شـــريك لـــه، وأشـــهد أنَّ محمـــدًا عبـــده ورســـوله، وبعـــد: فقد عظَّم الإسلام شأنَ الصلاة، ورفع ذِكرَها، وأعلى مكانتَها، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان.

والصلاة هي أول ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة، عن عبدالله بن قرط – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((أول ما يُحاسب به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةُ، فإنْ صلحتْ، صلح سائرُ عمله، وإن فسَدَتْ، فَسَدَ سائِرُ عمله.

والصلوات من أفضل العبادات الشعائرية لأن الصلاة فيها معنى الحج، إنك في الصلاة تتوجه إلى بيت الله الحرام، وفي الصلاة معنى الزكاة، إنك في الصلاة تقتطع من وقتك الذي هو أصل لكسب المال لأداء الصلوات، ففيها إنفاق سلبي، هذا الوقت ممكن أن يزيد ربحك في الدكان، أغلقت الدكان وذهبت إلى المسجد فأنت أخذت من وقتك الذي هو أصلاً لكسب المال للصلاة، ففيها معنى الزكاة، وفيها النطق بالشهادة فتقول في القعود: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وفي الصلاة معنى الصيام لأن الصيام هو امتناع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات بينما الصلاة فيها امتناع عن الذي يباح لك في الصيام عن الكلام والحركة.

و نظرا للأهمية البالغة التي تحتلها الصلاة في حياة المسلم نطرح البحث تحت عنوان :

(مقاصد الشريعة الإسلامية من العبادات الصلاة أنموذجا).

- **أهمية الموضوع** :

تكمن أهمية موضوع البحث في المكانة التي تحتلها الصلاة في الإسلام و لمادا خص الشارع الحكيم الصلاة بكل هده العناية فمن هدا البحث نحاول معرفة مقاصد الصلاة أو الفوائد التي تلحق بالمسلم عند إقامة الصلاة سواء منها الفوائد الدنيوية أو الأخروية من خلال الآيات و الأحاديث و أخر ما توصل إليه العلم عن فوائد الصلاة.

- **إشكالية الموضوع** العبادة هي الغاية التي خلقنا الله من أجلها: قال تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) (الذاريات:56) .

ويمتاز مفهوم العبادة في الإسلام بمجموعة من المزايا الفريدة مقارنة بما كان عليه في الأديان والمعتقدات السابقة، وفي مقدمة هذه المزايا: شمولية العبادة، حيث أسبغ الإسلام على جميع أعمال الإنسان – تقريبا– صفة العبادة، شريطة إخلاص النية للخالق سبحانه وتعالى و من أهم العبادات التي خصها الإسلام الصلاة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين .

ما هو مقصد الشارع الحكيم من إقامة الصلاة ؟

- **ما أهمية الصلاة في حياة المسلم ؟**
- **ما هي فوائد الصلاة الأخروية و الدنيوية ؟**

- أسباب اختيار الموضوع

1 – الموضوع لا يشرح أحكام الصلاة التي نعرفها جميعاً ولكن يشرح مقاصدها.

2 – معرفة فوائد و أهداف العبادة بشكل عام.

3 – معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية من الصلاة.

- أهداف البحث

1- الجمع بين ثلاث عناصر مهمة في الشرع و هي المقاصد و العبادة و الصلاة.

2- الحكمة التي من اجلها أعطى الإسلام هده المكانة للصلاة.

3- زيادة الاهتمام بالصلاة بعد معرفة فوائدها.

- **منهج البحث** هذا البحث سيكون على المنهج الاستقرائي في جميع أجزاءه و هو تصفح جزئيات داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت نتيجة لتلك الجزئيات .

– الدراسات السابقة

1- مقاصد العبادات العز بن عبد السلام.

2- مقاصد الصلاة العز بن عبد السلام.

3- أسرار الصلاة لابن القيم الجوزية.

4 – روح الصلاة عفيف عبد الفتاح طباره.

– خطة البحث الأولية

مقدمة

المبحث الأول: مفهوم مقاصد الشريعة

المطلب الأول : تعريف مقاصد الشريعة و أدلتها

المطلب الثاني : أقسام و خصائص و فوائد مقاصد الشريعة

المبحث الثاني : العبادة في الإسلام

المطلب الأول : حقيقة العبادة في الإسلام

المطلب الثاني : أسرار العبادة

المبحث الثالث: الصلاة في الإسلام و مقاصدها

المطلب الأول : الصلاة في الإسلام

المطلب الثاني : مقاصد الصلاة

- مصادر ومراجع البحث

- مقاصد العبادة في القران الكريم م.م ناصر يوسف عبد الله كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل.

- روح الدين الإسلامي عفيف عبد الفتاح طباره.

- علم مقاصد الشريعة نور الدين بن مختار الخادمي.

- مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور.

- مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة لقطب الدين القسطلاني.

- دوق الصلاة لابن القيم.

المبحث الاول: مفهوم مقاصد الشريعة

المطلب الاول: تعريف مقاصد الشريعة و ادلة مشروعيتها

الفرع 01 : تعريف مقاصد الشريعة

الفرع 02: الادلة على اثبات مقاصد الشريعة

المطلب الثاني: اقسام وخصائص و فوائد مقاصد الشريعة

الفرع 01 : اقسام مقاصد الشريعة

الفرع 02 : خصائص و فوائد مقاصد الشريعة

1 – مفهوم مقاصد الشريعة:

تمهيد : تزايد في العصر الحالي الاهتمام بمقاصد الشريعة على مستوى البحث و التأليف و التحقيق و التدوين و على مستوى التدريس و التعليم و التوعية و التثقيف. و قد كان سبب ذلك بالأساس الحاجة الماسة و الضرورة الملحة لعلم المقاصد على صعيد فهم التكليف و تعقله و استيعابه و تطبيقه و على صعيد تحمل خطاب التكاليف و أداء رسالة الاستخلاف و إقامة واجب الإصلاح و التوجيه و الإرشاد في الأرض.

1-1تعريف مقاصد الشريعة و أدلة مشروعيتها:

1-1-1 تعريف مقاصد الشريعة الإسلامية : مقاصد الشريعة هي اسم و لقب لعلم و فن من فنون الشريعة الإسلامية و هذا الاسم يتركب من لفظين : (مقاصد و الشريعة). و لتعريف هذا الاسم المركب أو هذا اللقب العلمي الشرعي يجب تعريف كل من لفظيه اللذين ركب منهما و هما (مقاصد و الشريعة).

تعريف المقاصد لغة : جمع مقصد و المقصد و القصد بمعنى واحد[1].القصد : في اللغة يأتي لمعان عدة فمنها : الأم و إتيان الشيء و التوجه تقول قصده : و قصد له و إليه إذا أمه و توجه إليه. استقامة الطريق قال تعالى : { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ} [النحل 9]."التوسط و تأتي بمعنى العدل".[2]و يظهر أن المعنى الأول هو المتبادر إلى الذهن إذا ذكرت المقاصد و هو الأم و إتيان الشيء و التوجه إليه و لا تبعد المعاني الأخرى لان مقاصد الشريعة معلوم فيها الاستقامة و التوسط و العدل.

[1] إبراهيم مصطفى و آخرين ،المعجم الوسيط.تحقيق: مجمع اللغة العربية (ط:01؛ دار الدعوة) (744,745/2).

[2] المرجع نفسه (738/2).

تعريف الشريعة لغة : الشريعة مشرعة الماء و هو : مورد الشاربة. و الشريعة : ما شرعه الله لعباده من الدين.

ثم استعمل هذا الاسم بمعنى : الدين و السنة[1]

قال تعالى { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة 48].

المقصود بالشريعة في البحث: الشريعة الإسلامية؛ و هي كل ما أمر الله به و نهى عنه في كتابه و سنة نبيه ص. جاء في التعريفات الشرعية: هي الائتمار بالتزام العبودية.[2]

التعريف الاصطلاحي لمقاصد الشريعة الإسلامية :

لم يوجد عند العلماء الأوائل تعريف واضح أو محدد أو دقيق لمقاصد الشريعة و إنما وجدت كلمات و جمل لها تعلق ببعض أنواعها و أقسامها و ببعض تعبيراتها و مرادفتها و بأمثلتها و تطبيقاتها و بحجيتها و حقيقتها.

و من تلك التعبيرات المصلحة و الحكمة و العلة و المنفعة و المفسدة و الأغراض و الغايات و الأهداف

و المرامي و الأسرار و المعاني و المراد و الضرر و الأذى و غير ذلك مما هو مبثوث في مصادره و مضانه.[3]

---

[1] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية.(ط:03؛ دار العلم للملايين،1404هـ) (1232/3).

[2] شريف علي بن محمد الجرجاني ،التعريفات،تحقيق: إبراهيم الابياري .(ط:01؛بيروت: دار الكتاب العربي،1405هـ) (127).

[3] نور الدين الخادمي, علم المقاصد الشرعية.(ط:01؛الرياض: مكتبة العبيكان،1421هـ) ص 15.

تعريف العلماء المعاصرين للمقاصد :

حظيت مقاصد الشريعة في العصر الحديث بعناية خاصة من قبل العلماء و الباحثين و ذلك لأهميتها و دورها في عملية الاجتهاد الفقهي و في معالجة قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الأدلة و النصوص و القواعد الشرعية و كان من ضروب هدا الاعتناء تدوين المقاصد و تأليفها و اعتبارها علما شرعيا و فنا أصوليا له ما لسائر العلوم

و الفنون من تعريفات و مصطلحات و تقسيمات و غير ذلك.

و قد وردت عدة تعريفات نوردها فيما يلي :

1 – عرفها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بأنها : المعاني و الحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة فيدخل في هذا أوصاف الشريعة و غاياتها العامة و المعاني التي لا يخلو التشريع عن

ملاحظتها...و يدخل في هذا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام و لكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها.[1]

3 – عرفها الريسوني بقوله : إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد.[2]

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور, مقاصد الشريعة.تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة،(ط:01؛قطر: وزارة الأوقاف القطرية،1425هـ) ص: 51.

[2] احمد الريسوني, نظرية المقاصد عند الشاطبي.(ط40:معهد العالمي للفكر الإسلامي،أمريكا،1415هـ) (ص: 7).

الخلاصة :

إن المقاصد الشرعية هي جملة ما أراده الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية كمصلحة الصوم و التي هي بلوغ التقوى و مصلحة الجهاد و التي هي رد العدوان و الذب عن الأمة و مصلحة الزواج

و التي هي غض البصر و تحصين الفرج و إنجاب الدرية و أعمار الكون.

و هذه المصالح كثيرة و متنوعة و هي تجتمع في مصلحة كبرى و غاية كلية : هي تحقيق عبادة الله و إصلاح المخلوق و إسعاده في الدنيا و الآخرة قال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل 36].

1-1-2 الأدلة على إثبات مقاصد الشريعة :

إن الناظر في الكتاب و السنة يجدهما طافحان بالأدلة على مراعاة المصالح و دفع المفاسد و بيان علل التشريع.

يقول ابن القيم: "القران و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم مملوءان من تعليل الأحكام بالحكم و المصالح

و تعليل الخلق بهما و التنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام و لأجلها خلق تلك الأعيان و لو كان هذا في القران و السنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها و لكنه يزيد على الألف موضع بطرق متنوعة".[1]

و قال : "لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصولا إلى الغايات المحمودة و المطالب النافعة فيكون مرشدا إلى العلم النافع و العمل الصالح فتحصل الغاية المطلوبة فاذا كان المتكلم به لم يقصد مصلحة المخاطبين و لا هداهم و لا إيصالهم إلى سعادتهم و لا دلالتهم على أسبابها و موانعها و لا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة و لا تكلم لأجلها لم يكن حكيما و لا كلامه حكمة".[2]

إن إثبات المقاصد في النصوص جاء بطرق متعددة و أساليب متنوعة منها :

1 – إخبار الله سبحانه و تعالى في كتابه في أكثر من موضع انه حكيم و دلك يقتضي أن تكون أحكامه سبحانه مشروعة لمقاصد و لا تكون عبثا.

2 – إخبار الله عن نفسه انه ارحم الراحمين في أكثر من موضع[3].

كما في قوله تعالى : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف 156] و ذلك لا يتحقق إلا بان يقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم و بما أمرهم به و شرعه لهم فلو لم تكن أوامره لأجل الرحمة و الحكمة و المصلحة و إرادة الإحسان إلى عباده لما كانت رحمة و لو حصلت بها الرحمة اتفاقا.

3 – و من ذلك إخباره انه فعل كذا لكذا أو من اجل كذا أو بأي مسلك من مسالك العلة[4]

---

[1] ابن القيم، مفتاح دار السعادة.تحقيق: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي(ط:01؛بيروت: دار الكتب العلمية) (363/2).

[2] شفاء العليل ,ابن القيم. (ط:01؛بيروت: دار المعرفة،1398هـ) (190).

[3] محمد اليوبي, مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة الشرعية. (ط:01؛الرياض: دار الهجرة،1418هـ) ص 107.

[4] المرجع نفسه (ص:108).

كقوله تعالى : { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة 6] .

4 – إخباره سبحانه عن أهمية كتابه و عظم فائدته و مقصد إنزاله و القران أصل الشريعة و أسها.[1]

[1] المرجع نفسه (ص:110).

1-2 أقسام و خصائص و فوائد المقاصد:

1-2-1 أقسام المقاصد:

يمكن المقاصد باعتبار المصالح التي جاءت بها الشريعة بالمحافظة عليها فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مقاصد ضرورية.

الثاني: مقاصد حاجية.

الثالث: مقاصد تحسينية.

أولا: المقاصد الضرورية:

و عرفها صاحب الموافقات: "بأنها لابد منها في قيام مصالح الدين و الدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد و تهارج و فوت حياة و في الأخرى فوت النجاة و النعيم و الرجوع بالخسران المبين".[1]

و الحفظ لها يكون بأمرين احدهما: ما يقيم أركانها و يثبت قواعدها و دلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود. و الثاني: ما يدرا عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها و دلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.[2]

و نصوص الكتاب و السنة متضافرة على أن الشريعة جاءت بحفظ هذه الضروريات

فمن ذلك قوله تعالى: { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام 150.153].

---

[1] ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي،الموافقات.تحقيق: بن حسن آل سليمان.ج2(ط:01؛ دار ابن عفان،1417هـ) ص 08 .

[2] المرجع نفسه .

فقد اشتملت هذه الآيات على العناية بالضروريات فقد ورد فيها حفظ الدين في قوله تعالى: { أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } و في قوله: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } و حفظ النفس في قوله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ} و قوله: { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ }و جاء حفظ النسل في قوله تعالى: { وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } و يدخل في هذا حفظ العرض. و جاء حفظ المال في قوله: { وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ }.و قوله: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ } و أما حفظ العقل فمطلوب لان التكليف بهذه الأمور لا يكون إلا لمن سلم عقله و لا يقوم بها فاسد العقل و لذلك كان الجنون رافعا للتكليف و في قوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } إشارة إلى ذلك.[1]

و الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر فمن دلك قوله صلى الله عليه و سلم "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله إلا الله و أني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس و الثيب الزاني و المفارق لدينه الترك للجماعة".[2] فالنفس محفوظة بمشروعية القصاص لأنه مقرر للحياة التي هي من اجل المنافع قال تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ... [}البقرة 179] .

[1] مقاصد الشريعة الإسلامية ,محمد اليوبي،مرجع سابق، (189,187).

[2] رواه البخاري (209/12).

الثاني: المقاصد الحاجية:

و هي الأمور التي إن وجدت أدى وجودها إلى التوسعة و رفع الضيق و إن فقدت أذى فقدانها إلى الضيق و المشقة.[1]

و قد جاءت الشريعة الكاملة بما يرفع الحرج و يدفع المشقة قال تعالى: {و ما جعل عليكم في الدين من حرج} و قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة 185] .

و من ذلك في العبادات: أمره بالتيمم عند العجز عن استعمال الماء و الابراد بالظهر في شدة الحر و الفطر في رمضان لمن غلبه الجوع و العطش و النهي عن الوصال في الصوم و عن صيام الدهر.

و في العادات: أباح الله تعالى للمكلف ما يرفع عنه الحرج من شتى أنواع الطيبات في المآكل و المشارب بل جعل المأكل و المشارب على ثلاث مراتب: ما لابد منه فهذا في رتبة الضروريات (و لذا نهى عن تقليل الطعام بحيث يتضرر الإنسان بذلك) و كذلك ما زاد عن مرتبة الضروريات إن لحق الحرج بتركه فهو في مرتبة الحاجيات و إن لم يلحق بتركه حرج كان من مرتبة التحسينات.[2]

و الناظر في هذه الأحكام يجدها مشروعة لمقاصد فمنها: رفع الحرج و التيسير على المسلم و توقي انقطاعه عن العبادة و كذا المحافظة على الضروريات الخمس لان وجود هذه الأمور الحاجية كالحمى للضروريات تدفع ما يمكن أن يمسها و يؤثر فيها.[3]

---

[1] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق، (9/2).

[2] مقاصد الشريعة الإسلامية ,محمد اليوبي،مرجع سابق، (320).

[3] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق، (14/2).

الثالث: المقاصد التحسينية:

و هي "الأخذ بما يليق من محاسن العادات و تجنب الأحوال المدنسات التي تانفها العقول الراجحات و يجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق".[1]

و من المقاصد التحسينية في العبادات:

الأمر بالطهارة و ستر العورة و اخذ الزينة من اللباس و محاسن الهيئات و الطيب عند كل مسجد و اخذ الإنسان نفسه بسنن الفطرة.

و في العادات: كآداب الأكل و الشرب و منها: هيئة الجلوس المشروعة و النهي عن الأكل مضجعا أم منبطحا أو متكئا و منها النهي عن النفخ في الطعام و الشراب و التنفس فيه و التقليل منه بحيث يتضرر بذلك.

و تظهر أهمية المصالح التحسينية في إنها تظهر جمال الأمة و كمالها و حسن أخلاقها و بديع نظامها[2] و كذلك فان المصالح التحسينية خادمة للحاجية و الضرورية.[3]

---

[1] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق، (9/2).

[2] مقاصد الشريعة,ابن عاشور،مرجع سابق، (ص: 82).

[3] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق، (19/2).

1-2-2 خصائص مقاصد الشريعة :

للمقاصد الشرعية خصائص عديدة تلحظ باستقراء الأحكام و عللها لان الشريعة المحمدية قائمة على حفظ المقاصد و رعايتها.

يقول الشاطبي: "الشريعة المباركة المحمدية منزلة على هذا الوجه و لذلك كانت محفوظة في أصولها و فروعها كم قال تعالى: {أنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون}.

لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد التي بها يكون صلاح الدارين و هي : الضروريات و الحاجيات و التحسينات

و ما هو مكمل و متمم لأطرافها و هي أصول الشريعة".[1]

و من ثم فان خصائص أصول الشريعة تنسحب على المقاصد الشرعية و قد حصرها الشاطبي في خواص ثلاث و هي:

الأولى: العموم و الاطراد بحيث تشمل جميع أنواع التكليف و المكلفين و الأحوال.

يقول الشاطبي:" إذا ثبت أن الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية و الدنيوية و ذلك على وجه لا يختل لها به النظام لا بحسب الكل و لا بحسب الجزء و سواء في ذلك ما كان من قبيل الضروريات أو الحاجيات أو التحسينات فإنها لو كانت موضوعة بحيث يمكن أن يختل نظامها أو تختل أحكامها لم يكن التشريع موضوعا لها إذ ليس كونها مصالح إذ داك بأولى من كونها مفاسد لكن الشارع قاصد بها أن تكون تلك مصالح على الإطلاق فلا بد أن يكون وضعها على ذلك الوجه أبديا و كليا و عاما في جميع أنواع التكليف و المكلفين و جميع الأحوال و كذلك وجدنا الأمر فيها".[2]

الثانية: الثبوت من غير زوال يقول الشاطبي: "فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخا و لا تخصيصا لعمومها

و لا تقييدا لإطلاقها و لا رفعا لحكم من أحكامها لا بحسب عموم المكلفين و لا بحسب خصوص بعضهم

---

[1] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق، (17/2).

[2] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق، (17/2).

و لا بحسب زمان دون زمان و لا حال دون حال".[1]

و دليل الثبوت: الاستقراء التام يقول الشاطبي: "و يدل على ذلك الاستقراء التام و إن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات و الحاجيات و التحسينات.

و جميع ذلك لم ينسخ منه شيء بل إنما أتى بالمدينة ما يقويها و يحكمها و يحصنها و إذا كان كذلك : لم يثبت نسخ لكي البتة و من استقرا كتب الناسخ و المنسوخ تحقق هذا المعنى فإنما يكون النسخ في الجزئيات منها".[2]

الثالثة: كونها حاكمة غير محكوم عليها لأنها كالروح للأعمال يقول الشاطبي: "فان المقاصد أرواح الأعمال فقد صار العمل ذا روح على الجملة".[3]

و لما كانت حاكمة للإنسان جاءت:

– مراعية لفطرته يقول ابن عاشور: "و نحن إذا اجلنا النظر في المقصد العام من التشريع... نجده لا يعدو أن يساير حفظ الفطرة و الحذر من خرقها و اختلالها".[4]

– حاملة التوسط يقول الشاطبي: "مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط و لا تفريط ...و الوسط هو معظم الشريعة و أم الكتاب و من تأمل موارد الأحكام بالاستقراء التام عرف ذلك".[5]

---

[1] المرجع نفسه (18/2).

[2] المرجع نفسه.

[3] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق، (18/2).

[4] مقاصد الشريعة,ابن عاشور،مرجع سابق، (ص: 82).

[5]الشاطبي، الموافقات, مرجع سابق، (18/2).

1-2-3 فوائد مقاصد الشريعة:

لعلم مقاصد الشريعة فوائد جمة يمكن إجمالها و جمعها في أربع فوائد كبرى:

أولها: أن العلم بها يشير إلى الكمال في التشريع و الأحكام.

قال تعالى: { (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر49] و تندرج الأحكام الشرعية تحت خلق الله المقدر بحكمة.[1]

قال ابن القيم: "انه سبحانه حكيم لا يفعل شيئا عبثا و لا لغير معنى و مصلحة و حكمة هي الغاية المقصودة بالفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل و قد دل كلامه و كلام رسوله على هذا"[2] وقال: "إن كل ما خلقه و أمر به فله حكمة بالغة و آيات باهرة لأجلها خلقه و أمر به".[3]

ثانيها: أن العلم بالمقاصد يفيد معرفة مراتب المصالح و المفاسد و درجات الأعمال في الشرع و الواقع و هذا مهم عند الموازنة بين الأحكام.

يقول ابن تيمية: "و المؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة و مراتبها في الكتاب و السنة كما يعرف الخيرات الواقعة و مراتبها في الكتاب و السنة فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة و التي يراد إيقاعها في الكتاب

و السنة ليقدم ما هو أكثر خيرا و اقل شرا على ما هو دونه و يدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما و يجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما فان من لم يعرف الواقع في الخلق و الواجب في الدين لم يعرف أحكام الله في عباده و إذا لم يعرف ذلك كان قوله و عمله بجهل و من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح".[4]

ثالثها: إن العلم بالمقاصد نافع في تعدية الأحكام من الأصول إلى الفروع و من الكليات إلى الجزئيات و من القواعد إلى التفريعات[5] يقول الغزالي: "الحكم الثابت من جهة الشرع نوعان:

---

[1] قراءة في علم مقاصد الشريعة,علاء الدين الزعتري (ص: 3).

[2] ابن القيم ،شفاء العليل. مرجع سابق (ص:190).

[3] ابن القيم ،مفتاح دار السعادة,مرجع سابق (16/3).

[4]ابن تيمية، جامع الرسائل.تحقيق: محمد رشاد سالم (ط:01؛الرياض: دار العطاء،1422هـ) (305/2).

[5] قراءة في علم مقاصد الشريعة,علاء الدين الزعتري (ص: 4).

احدهما: نصب الأسباب عللا للأحكام كجعل الزنا موجبا للحد و جعل الجماع في نهار رمضان موجبا للكفارة و جعل السرقة موجبة للقطع إلى غير ذلك من الأسباب التي عقل من الشرع نصبها عللا للأحكام.

الثاني: إثبات الأحكام ابتداء من غير ربط بالسبب.

و كل واحد من النوعين قابل للتعليل و التعدية مهما ظهرت العلة المتعدية".

رابعها: أن العلم بالمقاصد يزيد النفس طمأنينة بالشريعة و أحكامها و النفس مجبولة على التسليم للحكم الذي عرفت علته.[1]

[1] ابن القيم ،شفاء العليل. مرجع سابق (ص:437).

1-2-4 تطبيق مقاصد الشريعة في الأحكام الفقهية:[1]

الجانب التطبيقي لمقاصد الشريعة مهم للغاية و يحتاج إليه الباحث و الدارس و الفقيه و المجتهد و القاضي و المفتي و المكلف و سائر من أراد فهم خطاب الشارع و تعاليمه و مقاصده و غايته.

و الجانب التطبيقي لمقاصد الشريعة معناه: الاهتمام بالوقائع و الشواهد الحياتية المختلفة في ضوء المقاصد الشرعية من خلال فهمها و تنزيلها على وفق مراد الشارع و مقاصد أحكامه و مصالح الدنيا و الآخرة جلبا للمنافع و درء للمفاسد.

و المقاصد الشرعية تنطبق على كافة مجالات الأحكام الفقهية المختلفة و لكن بتفاوت من حيث الجلاء و الخفاء و طرق الإثبات و مسالك التبيين و غير دلك مما يتحدد في ضوء المجال الفقهي المعين المطلوب.

و مجالات الأحكام الفقهية من حيث الإجمال تنقسم إلى قسمين كبيرين:

- مجال العبادات.
- مجال المعاملات (البيوعات الهبات الانكحة الجنايات...).

[1] نور الدين الخادمي ،علم المقاصد الشرعية،مرجع سابق، (ص: 165).

المبحث الثاني: العبادة في الاسلام

المطلب الاول: حقيقة العبادة في الاسلام

الفرع 01 : تعريف العبادة

الفرع 02: ا ركان و خصائص العبادة

المطلب الثاني: اسرار العبادة.

الفرع 01 : توقيفية العبادة

الفرع 02 : غاية العبادة

2 – العبادة في الإسلام:

تمهيد:

الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالا لأمر الله, و أداء لحقه على عباده, و شكرا على نعمائه التي لا تنكر, و ليس من اللازم أن يكون لهده العبادات ثمرات و منافع في حياة الإنسان المادية, و ليس من الضروري أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود. الأصل فيها أنها ابتلاء لعبودية الإنسان لربه, فلا معنى لان يدرك السر في كل تفصيلاتها. فالعبد عبد, و الرب رب.

هذه العبادات و إن كانت في الأصل شعائر تعبدية محضة واجبة الأداء, مهما قصر إدراك المتعبد بها لمقاصدها و آثارها, التي ربما حصلت له دونما شعور منه إلا أن العلم بهده المقاصد يزيد القائم بها اطمئنانا لعظم أمرها, و أن الفقه بآثارها يضاعف من ثمارها في نفس فاعلها.

2-1حقيقة العبادة في الإسلام:

2-1-1تعريف العبادة:

العبادة في اللغة:

في الصحاح: "أصل العبودية الخضوع و الذل. و التعبيد: التدليل"[1].

و المتأمل في هذه النقول عن فقهاء اللغة يجد أن المعاني التي ذكروها بيانا لهده الكلمة, لا تتجاوز الخضوع, الطاعة, التدلل, التنسك.

العبادة في الشرع:

قال الجرجاني: "هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه؛تعظيما لربه"[2].

و يقول ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة 5] .

"و العبادة في اللغة: من الذلة. يقال طريق معبد أي: مدلل, و في الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة

و الخضوع, و الخوف"[3].

---

[1]إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح, مرجع سابق (503/2).

[2]الشريف الجرجاني، التعريفات,مرجع سابق (ص: 146) .

[3] تفسير القران العظيم,ابن كثير(134/1).

2-1-2 أركان العبادة:

العبادة المشروعة لابد لها من أمرين:

الأول: هو الالتزام بما شرعه الله و دعا إليه رسله, أمرا و نهيا, و تحليلا و تحريما. و هذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة و الخضوع لله[1].

فليس عبدا و لا عابدا لله من رفض الاستسلام لأمره, و استكبر عن إتباع نهجه, و الانقياد لشرعه, و إن اقر بان الله خالقه و رازقه, فقد كان مشركوا العرب يقرون بذلك, و لم يجعلهم القران بدلك مؤمنين و لا عبادا لله طائعين, فخضوع الإقرار بالربوبية لا يكفي, و خضوع الاستعانة في الكربات و الاستغاثة في الشدائد لا يكفي, و لابد من خضوع التعبد و الانقياد و الإتباع الذي هو حق الإلوهية, و بهذا يتحقق معنى "إياك نعبد و إياك نستعين"[2].

و أساس الخضوع لله تعالى هو الشعور الواعي بوحدانيته تعالى, و قهره لكل من في الوجود, و ما في الوجود, فكلهم عبيده و خلقه, و في قبضة قدرته و سلطانه, و في هذا يقول القران الكريم:

{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (15) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [الرعد 15-17].

و كلما ازداد الإنسان معرفة بنفسه, و معرفة بربه, ازدادت هذه المشاعر وضوحا و قوة, فقوى اعتماده على الله, و اتجاهه إليه, و توكله عليه, و استعانته به, و تدلله له, و مد يد الضراعة إليه, ووقوفه ببابه سائلا داعيا منيبا إليه[3].

---

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام.(ط:02؛ مؤسسة الرسالة) (ص: 32).

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه (ص: 33).

الثاني:

أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى, فليس في الوجود من هو أجدر من الله تعالى بان يحب, فهو صاحب الفضل و الإحسان, الذي خلق الإنسان و لم يكن شيئا مدكورا, و خلق له ما في الأرض جميعا, و أسبغ عليه نعمه ظاهرة و باطنة, و خلقه في أحسن تقويم و صوره فأحسن صورته, و كرمه

و فضله على كثير من خلقه, و رزقه من الطيبات, و علمه البيان, و استخلفه في الأرض, و نفخ فيه من روحه, و اسجد له ملائكته, فمن أولى من الله بان يحب ؟ و من يحب الإنسان – ادن– إن لم يحب الله تعالى؟ أن أساس محبة الله تعالى هو الشعور بفضله و نعمته, و إحسانه و رحمته, و الإحساس بجماله

و كماله, فمن كان يحب الإحسان فالله هو واهبه و صاحبه, و من كان يحب الجمال فالله هو مصدره,

و من كان يحب الكمال فلا كمال في الحقيقة إلا كماله, و من كان يحب ذاته, فالله هو خالقه[1].

قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة 5].

فمن عرف الله أحبه, و بقدر درجته في المعرفة تكون درجته في المحبة, و لهذا كان الرسول صلى الله عليه و سلم اشد الناس حبا لله, لأنه اعرفهم بالله, و كانت قرة عينه في الصلاة, لأنها الصلة المباشرة بين قلبه

و بين الله, و كان في دعائه يسال الله الشوق إلى لقائه, و لذة النظر إلى وجهه سبحانه, و لما خير بين البقاء في الدنيا و بين اللحوق بربه قال: اختار الرفيق الأعلى[2].

---

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام (ص: 33).

[2] المرجع نفسه (ص: 34).

2-1-3 خصائص العبادة:

العبادة في الإسلام تمتاز بشمولها, و سعة آفاقها و هذا الشمول له مظهران:

الأول: شمولها للدين كله و للحياة كلها.

الثاني: شمولها لكيان الإنسان كله ظاهره و باطنه.

شمول العبادة للدين كله و للحياة كلها:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قول الله عز و جل:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } [البقرة 21] .

ما العبادة ؟ و ما فروعها ؟ و هل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ فأجاب رحمه الله عن دلك إجابة مبسوطة مفصلة تضمنتها رسالته المعروفة باسم "العبودية" و قد بدأها بقوله:

"العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال, الباطنة و الظاهرة, فالصلاة

و الزكاة و الصيام و الحج, و صدق الحديث و أداء الأمانة و بر الوالدين, و صلة الأرحام, و الوفاء بالعهود و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر, و الجهاد للكفار و المنافقين, و الإحسان للجار و اليتيم

و المسكين و ابن السبيل, و المملوك من الآدميين, و البهائم, و الدعاء و الذكر و القراءة, و أمثال دلك من العبادة.

و كذلك حب الله و رسوله, و خشية الله و الإنابة إليه و إخلاص الدين له, و الصبر لحكمه, و الشكر لنعمه, و الرضا بقضائه, و التوكل عليه, و الرجاء لرحمته, و الخوف من عذابه, و أمثال دلك هي من العبادة لله"[1].

و هكذا نجد أن للعبادة –كما شرحها ابن تيمية – أفقا رحبا و دائرة واسعة, فهي تشمل الفرائض

و الأركان الشعائرية من الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج.

[1] ابن تيمية ،العبودية.تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي(ط:03؛مصر: دار الاصالة،1419هـ) (ص: 38).

و هي تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبد التطوعي من ذكر و تلاوة و دعاء و استغفار, و تسبيح و تهليل و تكبير و تحميد.[1]

و إذا عرفنا أن الدين كله عبادة كما قال الإمام ابن تيمية, و عرفنا أن الدين قد جاء يرسم للإنسان منهج حياته, الظاهرة و الباطنة, و يحدد سلوكه و علاقاته, وفقا لما يهدي إليه هدا المنهج الإلهي – عرفنا أن عبادة الله تسع الحياة كلها, و تنظم أمورها قاطبة: من أكل و شرب, و قضاء الحاجة, إلى بناء الدولة,

و سياسة الحكم, وسياسة المال, و شئون المعاملات و العقوبات, و أصول العلاقات الدولية في السلم و الحرب.[2]

و بهذا البيان يتضح لنا حقيقة هامة لازال يجهلها الكثيرون من المسلمين, فبعض الناس لا يفهم من كلمة "العبادة" إذا ذكرت إلا الصلاة و الصيام و الصدقة و الحج و العمرة, و نحو دلك من الأدعية و الأذكار, و لا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق و الآداب أو النظم و القوانين, أو العادات و التقاليد.و الحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان, و جعلها غايته في الحياة, و مهمته في الأرض, دائرة رحبة واسعة, أنها تشمل شئون الإنسان كلها و تستوعب حياته جميعا.[3]

العبادة انقياد لمنهج الله و شرعه:

إن مقتضى عبادة الإنسان لله وحده: أن يخضع أموره كلها لما تحبه تعالى و يرضاه, من الاعتقادات

و الأقوال و الأعمال, و أن يكيف حياته و سلوكه وفقا لهداية الله و شرعه, فادا أمره الله تعالى أو نهاه, أو الحل له أو حرم عليه كان موقفه في دلك كله: سمعنا و اطعنا, غفرانك ربنا و إليك المصير.

و في هدا يقول القران الكريم: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب 36]

---

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام (ص: 50).

[2] المرجع نفسه (ص: 51).

[3] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام (ص: 53,52).

و يقول تعالى: { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [النور 51].

ليس بعابد لله ادن من قال: أصلي و أصوم و أحج, و لكني حر في أكل لحم الخنزير, أو شرب الخمر, أو أكل الربا, أو ارفض ما لا يروق لي من أحكام الشريعة.

ليس بعابد لله من ظن أن عبوديته لله لا تعدو جدران المسجد, فادا انطلق في ميادين الحياة المتشعبة, فهو عبد نفسه فقط, و بعبارة أخرى: هو حر في إتباع هواه, أو إتباع أهواء عبيد أنفسهم من المخلوقين.[1]

أثار هذا الشمول في النفس و الحياة[2]:

إن شمول معنى العبادة في الإسلام له آثار مباركة في النفس و الحياة يحسها الإنسان في ذاته, و يلمسها في غيره, و يرى ظلالها في الحية من حوله, و ابرز هده الآثار و أعمقها أمران:

الأول : انه يصبغ حياة المسلم و أعماله بالصبغة الربانية, و يجعله مشدودا إلى الله في كل ما يؤديه للحياة, فهو يقوم به بنية العابد الخاشع, و روح القانت المخبت, و ما يدفعه إلى الاستكثار من كل عمل نافع,

و كل إنتاج صالح,فان دلك يزيد رصيده من الحسنات و القربات عند الله عز و جل.

الثاني: انه يمنح المسلم وحدة الوجهة, ووحدة الغاية في حياته كلها, فهو يرضى ربا واحدا, في كل ما يأتي و يدع, و يتجه إلى هدا الرب بسعيه كله: الديني و الدنيوي, لا انقسام و لا صراع و لا ازدواج في شخصيته و لا في حياته.

الثاني: شمولها لكيان الإنسان كله ظاهره و باطنه:

هذا هو المظهر الثاني لشمول العبادة, فكلما شملت العبادة الحياة كلها استوعبت كذلك كيان الإنسان كله.

فالمسلم يعبد الله بالفكر, و يعبد الله بالقلب, و يعبد الله باللسان, و يعبد الله بالسمع و البصر و سائر الحواس, و يعبد الله ببدنه كله, و يعبد الله ببذل المال, و يعبده ببذل النفس, و بمفارقة الأهل و الوطن.

---

[1] المرجع نفسه (ص: 54).

[2] المرجع نفسه (ص: 66).

المسلم يتعبد الله بالفكر, عن طريق التأمل في النفس و الأفاق, و التفكر في ملكوت السموات و الأرض

و ما خلق الله من شيء, و التدبر لآيات الله المنزلة و ما فيها من هدى و حكمة, و النظر في مصاير الأمم و أحداث التاريخ و ما فيها من عظة و عبرة, فهدا كله مما يتقرب به المسلم إلى الله الذي انزل كتابه إلى الناس,يقول تعالى: { لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [ص 29].

و دعاهم في محكم كتابه إلى إعمال العقل نظرا و تفكرا و تعلما.

قال تعالى: { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } [الذاريات 21].[1]

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام (ص: 72).

الخلاصة:

يختلف إدراك العبادة في الإسلام عما هو في كل دين آخر, إن العبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص, كالصلاة و الصيام مثلا و لكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضا, و لدا كانت الغاية من حياتنا على العموم عبادة الله فيلزمنا حينئذ ضرورة أن ننظر إلى هده الحياة في مجموع مظاهرها كلها على أنها عبادات و أن نأتيها بوعي, و على أنها تؤلف جزءا من دلك المنهاج العالمي الذي أبدعه الله.

2-2 أسرار العبادات:

2-2-1 توقيفية العبادات:

الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالا لأمر الله, و أداء لحقه على عباده, و شكرا لنعمائه التي لا تنكر,

و ليس من اللازم أن يكون لهده العبادات ثمرات و منافع في حياة الإنسان المادية, و ليس من الضروري أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود, الأصل فيها أنها ابتلاء لعبودية الإنسان لربه, فلا معنى لان يدرك السر في كل تفصيلاتها, فالعبد عبد, و الرب رب.

و لو كان الإنسان لا يتعبد الله إلا بما وافق عليه عقله المحدود و عرف الحكمة فيه تفصيلا, فادا عجز عن إدراك السر في جزئية أو أكثر من جزئياته, اعرض و نأى بجانبه لكان في هده الحال عبد عقله و هواه لا عبد ربه و مولاه.

إن العبودية لله شعارها الإيمان بالغيب و لو لم تره, و الطاعة للأمر و لو لم تحط بسره.

و حسب المؤمن أن يعلم بالإجمال أن الله غني عن العالمين, غني عن عباداتهم و طاعاتهم, فلا تنفعه طاعة من أطاع و لا تضره معصية من عصى.

قال تعالى: { وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } [لقمان 12].

و قال تعالى: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [آل عمران 97].

فالله غني عن عباده كل الغنى, و إذا تعبدهم بشيء فإنما يتعبدهم بما يصلح أنفسهم, و يعود عليهم بالخير في حياتهم الروحية و المادية. غير أن الإنسان المحدود قد تخفى عليه حكمة الله جل علاه.[1]

و كما أخفى كثيرا من أسرار هدا الكون عن الإنسان, أخفى عنه بعض أسرار ما شرع ليظل الإنسان في هدا وداك متطلعا بأشواقه وراء المجهول آملا في الوصول, معترفا بالقصور و ليظل دائما في دائرة العبودية المؤمنة التي شعارها دائما: "سمعنا و اطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير".[2]

---

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام (ص: 207).

[2] المرجع نفسه (ص: 208).

و العبادات محددة و مبينة إجمالا و تفصيلا, تم ضبطها و بيانها و تفصيلها و شرحها في نصوص القران الكريم, و السنة النبوية القولية و الفعلية و الاقرارية.

و هي ثابتة و باقية و دائمة إلى يوم القيامة, لا ينبغي تغييرها و تبديلها, و لا يجوز البتة الزيادة فيها أو التنقيص منها, لدلك منعت البدعة و الزيادة, كما منع التهاون و التقصير و التنقيص, و ليس على المكلف إلا أن يلزم الأمر الشرعي, و الإلزام الرباني الذي بين العبادة المطلوبة للشارع و المرادة له.فمقصود الشارع في العبادة و الطاعة أن يعبدوه و يطيعوه كما أمرهم, و كلفهم, و ليس كما اشتهوا و اجتهدوا و غيروا و لدلك تقررت القاعدة الشرعية المقاصدية المعروفة: (لا يعبد الله إلا بما شرع) .[1]

قال الشاطبي: "إن مقصود العبادات الخضوع لله, و التوجه إليه و التدلل بين يديه, و الانقياد تحت حكمه, و عمارة قلبه بذكره حتى يكون العبد بقلبه و جوارحه حاضرا مع الله و مراقبا له غير غافل عنه, و إن يكون ساعيا في مرضاته, و ما يقرب إليه على حسب طاقته".[2]

[1] نور الدين الخادمي ،علم مقاصد الشريعة,مرجع سابق (ص: 166).

[2] الشاطبي، الموافقات،مرجع سابق (301/2).

2-2-2 توقيفية العبادات لا يعني خلوها من الحكم:

القول بان العبادات توقيفية و غير معللة لا يعني البتة خلوها من المصالح و الحكم و الفوائد, و إنما يعني فقط ثبوتها و دوامها على دلك الأمر؛ كي لا تتبدل بتبدل الأزمان و الأحوال, و كي يتحقق منها واجب التدين و التعبد و الامتثال؛ إذ لا يعد الإنسان مطيعا و منقادا إلا إذا فعل ما أمر به من مطيعه على الوجه الذي أراد و بالكيفية التي طلب. فالعبد إذا أعطى لسيده عصيرا و قد طلب منه ماء لا يعد مطيعا, و المكلف الذي يصوم كل عمره بلا انقطاع لا يعد عابدا و لا متقربا؛ لأنه فعل ما يخالف أمر الله في الصوم و مراده فيه, إذ الصوم لم يشرع إلا في أزمنة معينة, و لم يؤمر به إلا لاشتماله على منافع و حكم كثيرة في الدنيا و الآخرة, و قد جمع الله تعالى كل تلك المنافع و الحكم في مقصود جامع و هدف كلي, هو بلوغ تقوى الله. و أرقى درجات تلك التقوى و أعلى مراتبها: عبادة الله.[1]

و لعل معنى هذا أن الصوم امتناع عن الفعل, بخلاف العبادات الأخرى التي هي أداء و قيام بالفعل كالصلاة و الزكاة و الحج, و ما كان كذلك فمن الصعب غالبا أن يكتشفه الناس و يعلموا به؛ و لدلك نسبه الله تعالى لنفسه للدلالة على شدة الإخلاص فيه, و خلوه من شوائب الرياء و السمعة و الشهرة.[2]

و العبادات كلها معللة, أي: مشروعة لعلل و حكم و فوائد في الدنيا و الآخرة, للفرد و المجتمع, غير أن دلك التعليل يكون على ضربين:

1 – كل العبادات معللة في الجملة و العموم بجلب مصالح الناس و منافعهم في الدنيا و الآخرة, و تلك المصالح و المنافع تجلب بطاعة الله و عبادته, و الخضوع و الانقياد إليه.

2 – بعض العبادات التفصيلية معللة بما يجلب للإنسان بعض المنافع الظاهرة و الدنيوية, كالطهارة, و رفع الحرج و الشدة و المشقة غير المعتادة.[3]

---

[1] نور الدين الخادمي ،علم مقاصد الشريعة,مرجع سابق (ص: 167).

[2] المرجع نفسه(ص: 168).

[3] المرجع نفسه.

و مثال ذلك:

قوله تعالى في الطهارة: { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة 6].

و قوله في الحج: { لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ } [الحج 28].

و قوله في الزكاة: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } [التوبة 103].

و قوله في جماع الزوجة في الحيض: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى } [البقرة222].

فتعليل بعض الأحكام التعبدية ببعض المنافع و الفوائد الدنيوية مقرر و معلوم و ثابت, غير انه ليس المقصود الأول, و لا المطلوب الأصلي, و إنما هو يأتي في المرتبة الثانية بعد مرتبة التعبد و الطاعة

و الامتثال.

إذ المقصد الأصلي من العبادات هو الخضوع و الانقياد, و المقصد التبعي هو نيل بعض الحظوظ و المنافع العاجلة, و لكن يشترط في المقصد التبعي, أو قصد الحظوظ و المنافع أن لا يكون المقصد الأول و المراد الأصلي, بل لابد أن يكون المقصد الأصلي في الأول و الأخير عبادة الله و الخضوع إليه و طلب عفوه

و مرضاته و جناته.[1]

فالقول بكون أصل العبادات التعبد و التوقيف, و عدم الالتفات إلى المعاني, لا يعني خلو تلك العبادات من الفوائد و المعاني و الحكم, و لا يعني كذلك إجراء الاقيسة على تلك العبادات المقدرة, و إيجاد عبادات أخرى, أو إحداث الزيادة أو التنقيص في تلك العبادات.

قد يقول البعض: إذا كانت الصلاة راحة للنفس و البال, و اطمئنان الجماعة, و توحدهم في الصف و في الحياة, فلماذا لا نؤديها جلوسا على الكراسي, بدلا من الوقوف الذي قد لا يحدث الراحة, و الاطمئنان, و الوحدة أو النظام أو غير ذلك؟.

و لذلك كله حددت العبادات و ضبطت على سبيل الإجمال و التفصيل, و على سبيل التعبد و التقرب.و هي مشروعة لصلاح الناس و إسعادهم في الدارين, بتحقيق مرضاة الله و الفوز بجناته في الآخرة, و بتحصيل المنافع و الحظوظ الدنيوية التبعية المتفرعة عن أصلية التعبد و الامتثال.[1]

---

[1] نور الدين الخادمي ،علم مقاصد الشريعة,مرجع سابق (ص: 169).

2-2-3 غاية العبادات:

خلق الله الناس ليعبدوه و يعرفوه, و ليكملهم بهده العبادة, و ليتجلى عليهم بأنواره و اشراقاته و هديه, و ليكونوا أهلا للقائه بقلوب سليمة. و الله سبحانه غني عن العالمين لا تنفعه طاعة الطائعين, و لا تضره معصية العاصين, هذه هي الحقيقة العظمى التي صرح بها القران في قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) } [الذاريات 57-58].

و الناظر في حقيقة العبادة في القران لا يرى معناها يقتصر على الخضوع لله و لكن يرى لها صورا شتى نعرضها فيما يلي:

الشكر من العبادة: قال الله تعالى: { وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [البقرة 172].

فالله هو المحسن و يجب أن نشكره على إحسانه و ما نحن فيه من نعم, ابتداء من نعمة الوجود على هذه الأرض, إلى استمرار الحياة عليها, و انتهاء باللحظة التي نفارق فيها الحياة, و لهذا نرى القران يثني على من قال : { وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [يس22].

كما يمتن الله على الناس جميعا بقوله: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل18].

و من أروع الأقوال في تعريف الشكر: انه ظهور اثر نعمة الله على لسان الإنسان ثناء و اعترافا, و على قلبه شهودا و محبة, و على جوارحه انقيادا و طاعة.[2]

التوكل على الله من العبادة: قال الله تعالى: { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [هود123].

و التوكل على الله أن يترك الإنسان الأمر لله بعد الأخذ بالأسباب, فلا يفزعه المستقبل و ما يخبئه من مفاجآت و يستعيض بالخوف و السكينة و الاطمئنان إلى عدل الله و رحمته.[3]

---

[1] المرجع نفسه(ص: 170).

[2] عفيف عبد الفتاح طباره ،روح الصلاة في الإسلام.(ط:07؛بيروت: دار العلم للملايين،1397ه), (ص: 18).

[3] المرجع نفسه (ص: 19).

الإخلاص لله من العبادة: قال الله تعالى: { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } [الزمر2].

و الإخلاص أن يأتي الإنسان بالأعمال نقية لا يشوبها رياء, قياما بالواجب, سواء في العبادات أو في سائر الأعمال, قاصدا بدلك وجه الله وحده دون أن يلحظ رؤية الخلق, أو يقصد السمعة و الجاه, و هدا مما يبعد الإنسان عن الرياء و النفاق.[1]

الدعاء من العبادة: قال الله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر60].

ففي هذه الآية وصف الله الدعاء بأنه عبادة يستحق من يستكبر عنها غضب الله.

و الدعاء علاج نفساني يقوي النفس, و يخفف آلامها و أحزانها بسبب ركونها إلى خالقها الذي يستجيب دعاءها و يخفف من بأسائها.[2]

الركوع و السجود من العبادة: قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الحج 77].

الركوع و السجود هما سر العبودية, فان العبودية هي الذل و الخضوع, و أذل ما يكون الإنسان و اخضع حين يكون راكعا أو ساجدا.

و الغاية من الركوع و السجود هي الاعتراف لله بالسلطان العظيم و القدرة العليا, و الإقرار من النفس بأعمق الخضوع, فالطبيعة كلها و من فيها تسجد لله, جاء في القران: { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } [الرعد15].[3]

---

[1] المرجع نفسه .

[2] عفيف عبد الفتاح طباره ،روح الصلاة في الإسلام،مرجع سابق (ص: 19).

[3] المرجع نفسه (ص: 20).

العبادة غذاء الروح:

الإنسان ليس هو هذا الغلاف المادي الذي نحسه و نراه, و الذي يطلب حظه من طعام الأرض و شرابها. و لكن حقيقة الإنسان في ذلك الجوهر النفيس الذي به صار إنسانا مكرما سيدا على ما فوق الأرض من كائنات. دلك الجوهر هو الروح الذي يجد حياته و زكاته في مناجاة الله عز و جل. و عبادة الله هي التي توفر لهذا الروح غذاءه و نماءه, و تمده بمدد يومي لا ينفد و لا يغيض. إن القلب الإنساني دائم الشعور بالحاجة إلى الله, و هو شعور أصيل صادق لا يملاء فراغه شيء في الوجود إلا حسن الصلة برب الوجود, و هدا ما تقوم به العبادة إذا أديت على وجهها الصحيح.[1]

يقول ابن تيمية رحمه الله: "القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة... و من جهة الاستعانة

و التوكل.. فالقلب لا يصلح و لا يفلح و لا ينعم و لا يسر و لا يلتذ و لا يطيب, و لا يسكن و لا يطمئن, إلا بعبادة ربه وحده و حبه و الإنابة إليه, و لو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن و لم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده و محبوبه و مطلوبه, و بدلك له الفرح و السرور, و اللذة و النعمة, و السكون و الطمأنينة.

و هذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له, فانه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله, فهو دائما مفتقر إلى حقيقة (إياك نعبد و إياك نستعين)".[2]

يقول ابن القيم رحمه الله: "انه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها و فاطرها, فهو إلهها و معبودها, ووليها ومولاها, و ربها و مدبرها و رازقها و مميتها و محييها, فمحبته نعيم النفوس, و حياة الأرواح, و سرور النفوس, و قوت القلوب, و نور العقول, و قرة العيون, وعمارة الباطن".[3]

---

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام ،مرجع سابق (ص: 97).

[2] ابن تيمية,العبودية، مرجع سابق (ص: 108,109).

[3] ابن القيم,إغاثة اللهفان.(ط:01؛جدة: مجمع فقه الاسلامي،1432هـ), (197/2).

العبودية لله سبيل الحرية:

إن العبودية الخالصة لله هي في واقع الأمر عين الحرية, و سبيل السيادة الحقيقية, فهي وحدها التي تعتق القلب من رق المخلوقين, و تحرره من الذل و الخضوع لكل ما سوى الله من أنواع الآلهة و الطواغيت التي تستعبد الناس و تسترقهم اشد ما يكون الاسترقاق و الاستعباد, و إن ظهروا صورة و شكلا بمظهر السادة الأحرار.[1]

يقول ابن تيمية رحمه الله:"لن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بان يكون الله مولاه الذي لا يعبد إياه, و لا يستعين إلا به, و لا يتوكل إلا عليه, و لا يفرح إلا بما يحبه و يرضاه, و لا يكره إلا ما يبغضه الرب و يكرهه, و لا يوالي إلا من والاه الله, و لا يعادي إلا من عاداه الله, و لا يحب إلا الله و لا يبغض شيئا إلا لله, و لا يعطي إلا لله, و لا يمنع إلا لله.

مكلما قوي إخلاص دينه لله, كملت عبوديته و استغناءه عن المخلوقات, و بكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر و الشرك".[2]

العبادة ابتلاء الهي يصقل الإنسان: [3]

الحياة التي نحياها طالت أو قصرت ليست هي الغاية و لا إليها المنتهى, و ما هي إلا محطة انتقال إلى حياة أخرى و دار أخرى, حياة البقاء, و دار الخلود.

و في بعض الآثار:"إنكم خلقتم للأبد, و إنما تنقلون من دار إلى دار, و قال الشاعر:

و ما الموت إلا رحلة غير أنها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

فالمعول عليه ادن إنما هو الدار الأخرى. قال تعالى: { وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت 64].

و هكذا ذكر القران الكريم أن الله سبحانه إنما خلق السموات و الأرض, و خلق الموت و الحياة, و زين الأرض بما عليها, ليبتلي عباده و يمتحنهم و هو بهم اعلم ليظهر من يريده و يريد ما عنده ممن يريد الدنيا

---

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام ،مرجع سابق (ص: 102).

[2] ابن تيمية,العبودية، مرجع سابق (ص: 114,112).

[3] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام،مرجع سابق (ص: 105,104).

و زينتها, قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [هود7]

{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الكهف7].

العبادة حق الله على عباده:

العبادة هي حق الخالق جل شانه على خلقه.

و في ذلك روى البخاري و مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : "كنت رديف النبي ص على حمار, فقال لي: يا معاذ؛ أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله و رسوله اعلم, قال: حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا".

و ليس بمستنكر أن يكون لله علينا حق عبادته وحده سبحانه, بل المستنكر أن يكون غير هذا..المستنكر أن نعبد ما دون الله أو من دون الله, فنؤدي الحق لغير أهله, أو نزعم لأنفسنا الاستقلال عن الله فنجحد عبوديتنا له بغير حق.[1]

صلاح النفس ثمرة للعبادة الحقة:[2]

المقصود بالعبادة أن يعرف الإنسان نفسه فقيرا لا حول و لا قوة له إلا بربه, و لا اعتماد له إلا عليه, و لا قيام له بذاته, و يعرف ربه عليا كبيرا, غنيا عن العالمين قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } [فاطر15-17].

و إظهار العبودية لرب العالمين, و امتثال أمره سبحانه و تعالى فيما تعبد به خلقه هو علة العبادات كلها من صلاة و صيام و زكاة و حج و تلاوة و ذكر و دعاء و استغفار و إتباع للشريعة, و التزام بأحكام الحلال و الحرام, أما صلاح النفس و زكاة الضمير و استقامة الأخلاق, فهي ثمرة لازمة للعبادة الحقة,

و ليست علة غائية لها, لهذا قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة21].

---

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام ، مرجع سابق (ص: 107).

[2] المرجع نفسه (ص: 116).

العبادة سبيل إلى انشراح الصدر:

و لما كانت العبادة لها هذه الأهمية الكبرى لذلك خاطب الله رسوله محمدا و أمره بالمواظبة على العبادة حتى الموت, فقال سبحانه: { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر99].

و المعنى: إنا لنعلم ما يصيبك أيها الرسول من ضيق في صدرك و الم في نفسك من جراء ما يقولون من ألفاظ الشرك و الاستهزاء و الإيذاء, فادا أصابك دلك الضيق فافزع إلى الله تعالى, و اتجه إليه و كن من الخاضعين الضارعين إليه و التزم عبادته حتى يأتيك الموت.

هذه الآية تدل دلالة واضحة على أن العبادة تزيل ضيق القلب و تحقق انشراح الصدر لان العبادة توجب رجوع الإنسان إلى الله, و هدا ما يوجب زوال ضيق القلب.[1]

العبادة انفتاح على الكون:

إن مفهوم العبادة في الإسلام يختلف عن مفهومها عند بعض الأديان المعاصرة التي ترى أن أفضل العبادة تكون في الانزواء في المعابد و كبت النفس بالرياضة الروحية العنيفة, فمفهوم العبادة في الإسلام هو انفتاح العقل على الكون, و التفكر فيما فيه أسرار و حكم تدل على عظمة خالقه, و لهذا نرى القران عندما يطلب من المؤمنين عبادة ربهم يوجه أفكارهم إلى آثار صنع الله لتكون عبادتهم له عن عرفان و يقين.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة21,22].

و لهذا لم يدم الله الدوافع المادية, بل المذموم أن تكون هي الغاية, لان للإنسان بجانب عنصره المادي عنصرا روحيا, و أن له بعد موته حياة أخرى يحاسب فيها على نشاطه و سلوكه في الحياة الدنيا قال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [القصص 77].

هذه هي العبادة و مظاهرها و آثارها في النفس و التي فهم مراميها بعض الناس, و علموا أن السعادة تكون بالاتصال بالله, فلهذا طبعوا حياتهم بطابع العبادة و جعلوا من أعمالهم عبادة, و

[1] عفيف عبد الفتاح طباره ،روح الصلاة في الإسلام،مرجع سابق (ص: 22,21)

جعلوا المصنع محرابا, و من المعمل معبدا, فلم تلههم تجارة و لا بيع عن ذكر الله, و هؤلاء هم الذين مدحهم الله بقوله: { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } [النور37].[1]

[1] عفيف عبد الفتاح طباره ،روح الصلاة في الإسلام،مرجع سابق (ص: 22)

الخلاصة:

من خلال ما ذكر عن العبادات يمكن أن نلخص ذلك في نقاط هي عبارة عن بعض مقاصد العبادات:

1 - إن المقصد الأعظم و الباعث الأساسي للعبادة هو استحقاق الله تعالى لذلك, فنحن نعبد الله جل

و علا لأنه مستحق للعبادة.

2 – حصول التقوى التي هي الحاجز عن وقوع الإنسان في المعاصي, و هي كذلك المحرك الفعال لهده النفس حتى تنطلق من قيود الأرض.

3 – تربية الروح و تغذيتها و دلك لان الإنسان مكون من مادة و روح فإذا كان العنصر الجسدي فيه يجد حاجته في العناصر المادية من مآكل و مشرب فان العنصر الروحي لا يجد إشباعا لحاجته إلا بالقرب من الله تعالى.

4 – تحقيق حرية الإنسان فالعبادة تحرر المؤمن من الخضوع لغير الله تعالى.

5 – تمحيص المؤمن بابتلائه بالعبادة إعدادا له للحياة الأخرى.

المبحث الثالث: الصلاة في الاسلام و مقاصدها

المطلب الاول:الصلاة في الاسلام

الفرع 01 : منزلة الصلاة في الاسلام

الفرع 02: افعال الصلاة و ما فيها من حكم

المطلب الثاني:مقاصد الصلاة

الفرع 01 : الحكم المتعلقة بالصلوات

الفرع 02 : ثمرات الصلاة

3 – الصلاة في الإسلام و مقاصدها:

تمهيد:

قال تعالى: "قد افلح المؤمنون " والتي تذكر صفات المؤمنين الفائزين , ومنهم :"الذين هم في صلاتهم خاشعون "وأيضا "والذين هم على صلواتهم يحافظون " وقد ختم الله تعالى هذه الآيات بقوله :"أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون "، فالله يقول :إن الصلاة هي السبيل للحصول على السعادة الأبدية ,كما أنها السبيل لسعادة الإنسان في الدنيا بما توحي إليه من صفات الخير , وفي هذه المناسبة يتبادر إلى ذهني ذلك المثل الانكليزي المشهور :"الصلاة تغيّر الأشياء " والمراد أنها تنشل الإنسان من الشقاء والبؤس إلى السعادة , ومن السيئ إلى الأحسن وهذا المثل يقرُب في معناه من النص القرآني الذي رتب على الخشوع في الصلاة والمحافظة عليها :الفلاح والفوز بالمراد.

3-1:الصلاة في الإسلام:

3-1-1:منزلة الصلاة في الإسلام:

مفهوم الصلاة:

الصلاة لغة: الدعاء، قال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة : 103]. أي ادع لهم[1].

والصلاة في الشرع: عبادة لله ذات أقوال وأفعال معلومة مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، وسميت صلاة لاشتمالها على الدعاء [2].

أسماء الصلاة:

ولما بنيت الصلاة على خمس: القراءة والقيام والركوع والسجود والذكر سميت باسم كل واحد من هذه الخمس.فسميت قيامًا كقوله تعالى: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: 2] وقوله: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238].وقراءة كقوله: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78].وركوعًا كقوله تعالى: {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: 43] وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: 48].وسجودًا كقوله: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} [الحجر: 98]، وقوله {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق:19]. وذِكرًا كقوله: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة: 9] {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [المنافقون: 9].وأشرف أفعالها السجود، وأشرف أذكارها القراءة، وأول سورة أنزلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – افتتحت بالقراءة وختمت بالسجود ووضعت الركعة على ذلك، أولها قراءة وآخرها سجود.

---

[1] لابن منظور ، لسان العرب (ط:03؛بيروت: دار صادر،1414هـ)14/ 464.

[2]للجرجاني، التعريفات،مرجع سابق ص174.

سبب تسمية الصلاة بهذا الاسم[1]:

فان قلت: لم سميت الصلاة صلاة ؟ قلت: أما من حيث الاشتقاق لفظا فان في ذلك وجوها:

احدها: من التصلية: و هي التقويم من قولهم: صليت العود بالنار: أي قومته فكأنها تقوم العبد عما كان فيه من لاعوجاج بالمخالفة.

ثانيها: من الصلة بالعبد بربه عند طاعته له بفعلها إذ بفعلها يصل و بتركها ينقطع، روى عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ص: "بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة"[2].

ثالثها: أن العبد يصل بتركها إلى النار.

رابعها: لأنه يصل بفعلها إلى الجنة، روى عن علي (رضي الله عنه) انه قال: "هل تدرون لم سميت الصلاة صلاة ؟ قالوا: لا يا أمير المؤمنين قال: لان العبد يصل بها إلى الجنة".

خامسها: لان العبد إذا قام فيها وصل وجهه بوجه الله، أي استقبله، روى في الحديث الصحيح: "لا يتفل أحدكم قبل وجهه فان الله قبل وجهه"[3]، و يروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمان (رضي الله عنه) انه قال: الصلاة سميت صلاة لاستقبال العبد بوجهه وجه الله تعالى.

سادسها: سميت صلاة لمواصلة الله العبد بتعهده بنعمه عند فعلها كما قال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132].

---

[1] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة.تحقيق:محمد صديق المنشاوي(ط:01؛القاهرة: دار الفضيلة) (ص: 53).

[2] (صحيح) أخرجه الترمذي (6220)، و أبو داود (4678).

[3] (متفق عليه) أخرجه البخاري (412)، و مسلم (551).

حكم الصلاة:

الصلاة واجبة: بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، على كل مسلم بالغ عاقل، إلا الحائض والنفساء، أما الكتاب فقول الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[البينة: 5]. وقوله تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} [النساء : 103].وأما السنَّة؛ فلحديث معاذ – رضي الله عنه – حينما بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى اليمن وقال له: ((وأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة))[1]؛ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت))[2].

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيّع منهن شيئًا استخفافًا بحقّهنّ، كان له عند الله عهدًا أن يدخله الجنة ...)) الحديث[3].والآيات والأحاديث في فرضية الصلاة كثيرة.

ولا تجب على الحائض والنفساء، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((أليست إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم))[4].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم 1395.

[2] متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، برقم 8، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، برقم 16.

[3] أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب فيمن لم يوتر، 2/ 62، برقم 1420، وصححه الألباني – رحمه الله – في صحيح سنن أبي داود 1/ 266، 1/ 86.

[4] البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، 1/ 144، عن أبي سعيد – رضي الله عنه.

أهمية الصلاة في الإسلام:

الصلاة لها أهمية عظيمة في الإسلام، ومما يدل على أهميتها وعظم منزلتها ما يأتي:

1 – الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي حديث معاذ – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ))[1]. وإذا سقط العمود سقط ما بني عليه.

2 – أول ما يحاسب عليه العبد من عمله، فصلاح عمله وفساده بصلاح صلاته وفسادها، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت صلح سائرُ عمله، وإن فسدت فسد سائرُ عمله)). وفي رواية: ((أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته، فإن صلحت فقد أفلح، [وفي رواية: وأنجح]، وإن فسدت فقد خاب وخسر))[2].

3 – آخر ما يُفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه، فعن أبي أمامة مرفوعًا: ((لتُنقضن عُرَى الإسلام عُروة عُروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة))[3].

4 – آخر وصية أوصى بها النبي – صلى الله عليه وسلم – أمته، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كان من آخر وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم))، حتى جعل نبي الله – صلى الله عليه وسلم – يجلجلها في صدره وما يفيض بها لسانه))[4].

---

[1] الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، 5/ 11، برقم 2616، وقال: ((حديث حسن صحيح))،وأخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، 2/ 1314، وأحمد، 5/ 231، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، 2/ 138.

[2] أخرجه الطبراني في الأوسط، 1/ 409 [مجمع البحرين] برقم 532، ورقم 533، وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ((وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه والله أعلم)) 3/ 346.

[3] أحمد 5/ 251، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 1/ 229.

[4] أحمد، 6/ 290، 311، 321، وصححه الألباني في إرواء الغليل، 7/ 238.

5 – مدح الله القائمين بها ومن أمر بها أهله، فقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم،: 54 – 55] .

6 – ذم الله المضيعين لها والمتكاسلين عنها، قال الله تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم، : 59].وقال – عز وجل –: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: 142].

7 – أعظم أركان الإسلام ودعائمه العظام بعد الشهادتين، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله،وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت))[1].

8 – مما يدل على عظم شأنها أن الله لم يفرضها في الأرض بواسطة جبريل، وإنما فرضها بدون واسطة ليلة الإسراء فوق سبع سموات.

9 – فرضت خمسين صلاة، وهذا يدل على محبة الله لها، ثم خفف الله – عز وجل – عن عباده، ففرضها خمس صلوات في اليوم والليلة، فهي خمسون في الميزان، وخمس في العمل، وهذا يدل على عظم مكانتها[2].

10 – افتتح الله أعمال المفلحين بالصلاة واختتمها بها، وهذا يؤكد أهميتها، قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}[المؤمنون: 1 – 9]

---

[1] متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((بني الإسلام على خمس)) 1/ 92، برقم 8.

[2] متفق عليه من حديث أنس – رضي الله عنه –: البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله – عز وجل –: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً}، برقم 7517.

11 – أمر الله النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه أن يأمروا بها أهليهم، فقال الله – عز وجل –: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132].وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع))[1].

12 – أُمِرَ النائم والناسي بقضاء الصلاة، وهذا يؤكد أهميتها، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((من نسي صلاةً فليصلّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك)). وفي رواية لمسلم: ((من نسي صلاةً أو نام عنها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها))[2].

فضل الصلاة على كل العبادات[3]:

قد قامت أدلة الكتاب و السنة على أفضلية الصلوات، و أن الله سبحانه و تعالى دعا العباد إلى فعلها في جميع الأوقات إلا ما خص بالنهي عنه من الساعات فقال تعالى: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } [البقرة 238]، و قال تعالى: { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ }[المؤمنون 2]، و قال تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [المؤمنون 9]، و لشرفها عند الله سال إبراهيم (عليه السلام) ربه أن يجعله مصليا فقال: { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ }[إبراهيم 40]، و في الصحيح المتفق عليه من رواية أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ص يقول: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسا ما تقولون دلك يبقى من درنه شيء ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئا، قال: فدلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"[4]، وورد من حديث ثوبان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ص: "استقيموا و لن تحصوا و اعملوا و خير أعمالكم الصلاة، و لا

---

[1] أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، 1/ 133، برقم 495، وأحمد، 2/ 180، 187، وصححه الألباني في إرواء الغليل، 2/ 7، 1/ 266.

[2] متفق عليه: البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها 1/ 166، برقم 597.

[3] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 51).

[4] (متفق عليه) أخرجه البخاري (528)، و مسلم (668).

يحافظ على الوضوء إلا مؤمن"[1] . و معنى (لن تحصوا): أي لن تطيقوا الاستقامة في أعمالكم دواما،فان دلك مشقة على النفوس. فدل الكتاب و السنة على فضيلة الصلاة مطلقا، و دل حديث ثوبان على أن الصلاة أفضل الأعمال و المراد بذلك أفضل الأعمال البدنية لأنها مقصورة على ذات المكلف لا تتعدى عنه إلى سواه فيما يترتب على فعلها من الثواب.

أسباب التفضيل[2]:

و لما كانت الصلاة تجمع متفرقا من القربات من الطهارة و استقبال القبلة و الدعاء و الثناء و القراءة و التسبيح, كانت أكثر ثوابا و أعظم أجرا, و اكبر عند الله في العمل قدرا، لأنه اجتمع فيها ما لا يجتمع في غيرها،و لا سيما أن قارن ذلك الخشوع و الخضوع و الحضور في فعلها فإنها تزكو بدلك ثمرتها و تظهر بركتها اعتبار فيه أسرار، لها أنوار، و اختيار لنعم الله آثار.

اشتمال الصلاة على أركان الإسلام الخمس:

و الصلاة قد جمعت مباني الإسلام في قوله (عليه الصلاة و السلام): "بني الإسلام على خمس"[3] من شهادة التوحيد في التشهد الذي هو خاتمتها ووسطها، و من الحج الذي هو القصد في اللغة، و الصلاة من شرطها القبلة، فهو قصد إلى البيت بالتوجه، و من الزكاة التي هي تنقيص من الأموال بتنقيص الأبدان بالأفعال بالحركات، و من الصوم بالإمساك عن المفطرات فان المصلي ممنوع عنها، و من الجهاد بالمشقة فان المصلي لنفسه مجاهد و لشيطانه محارب.

فلما اشتملت هذه الصلاة على هذه المعاني من الاقتداء بالملائكة و النبيين و صالحي المؤمنين و الامتثال لأمر رب العالمين و مباني الإسلام التي عليها مدار الدين كانت أجدر بالفضيلة، و أولى بتحصيل الوسيلة، و قد حرض النبي ص على فعلها فقال في الحديث الصحيح: "و الصلاة نور"[4]: أي ينور القلب بفعلها أو يؤول أمر فاعلها إلى النور يوم القيامة كما قال تعالى: { نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ }[التحريم:8]، أو ينور وجه فاعلها في الدنيا فلأجل ذلك قدمها الخواص على جملة الأعمال، و من هنا قال ص: " و جعلت قرة عيني في الصلاة"[5]، و المعنى:

---

[1] (صحيح) أخرجه ابن ماجه (277).

[2] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 54).

[3] (متفق عليه) أخرجه البخاري (8)، و مسلم (12).

[4] (صحيح) أخرجه مسلم (223).

[5] (صحيح) أخرجه النسائي (3939).

أنها سكنت عن أن تمتد إلى النظر إلى سواها من القرار و هو السكون عن الحركة إلى زهرة الدنيا و زينتها اشتغالا بما قامت فيه لذائذ المناجاة لله دل عليه قوله تعالى: { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ }[الحجر: 88].ثم قال: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132]، أو أن معناه: أن السرور إنما هو في الصلاة، لان العرب إذا دعت لشخص تقول: اقر الله عينك بمعنى أزال الله عنها الحرارة، و إذا دعت عليه تقول: اسخن الله عينه بمعنى جعلها حارة فكانت عينه (عليه الصلاة و السلام) بالصلاة قريرة لما يجد فيها من لذيذ مؤانسته في مناجاته و شغله بما هو فيه من التوجه للقيام في خدمة مولاه.

خصائص الصلاة في الإسلام [1]:

الصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال الصالحة، منها:

[1] انظر: لابن تيمية ،شرح العمدة،تحقيق: خالد بن علي المشيقح (ط:01؛الرياض: دار العاصمة،1418هـ) 2/ 87 - 91.

1 – سمى الله الصلاة إيمانًا بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[البقرة: 143] .يعني صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأن الصلاة تصدِّقُ عَمَلهُ وقَوْلَهُ.

2 – خصها بالذكر تمييزًا لها من بين شرائع الإسلام، قال الله تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ}،[العنكبوت: 45] . وتلاوته اتباعه والعمل بما فيه من جميع شرائع الدين، ثم قال:{وَأَقِمِ الصَّلاةَ}، فخصها بالذكر تمييزًا لها، وقوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ} [الأنبياء: 73] . خصها بالذكر مع دخولها في جميع الخيرات، وغير ذلك كثير.

3 – قُرِنَت في القرآن الكريم بكثير من العبادات، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ}[البقرة: 43] . وقال: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: 2] . وقال: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الأنعام: 162] ، وغير ذلك كثير.

4 – أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يصطبر عليها، فقال: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ} [طه: 132] . مع أنه – صلى الله عليه وسلم – مأمور بالاصطبار على جميع العبادات؛ لقوله تعالى: {وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} [مريم: 65] .

5 – أوجبها الله على كل حال، ولم يعذر بها مريضًا،ولا خائفًا، ولا مسافرًا، ولا غير ذلك؛ بل وقع التخفيف تارة في شروطها، وتارة في عددها، وتارة في أفعالها، ولم تسقط مع ثبات العقل.

6 – اشترط الله لها أكمل الأحوال: من الطهارة، والزينة باللباس، واستقبال القبلة مما لم يشترط في غيرها.

7 – استعمل فيها جميع أعضاء الإنسان: من القلب، واللسان، والجوارح، وليس ذلك لغيرها.

8 – نهى أن يشتغل فيها بغيرها، حتى بالخطرة، واللفظة، والفكرة.

9 – هي دين الله الذي يدين به أهل السموات والأرض، وهي مفتاح شرائع الأنبياء، ولم يُبْعَث نبيٌّ إلا بالصلاة.

10 – قُرنت بالتصديق بقوله: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[القيامة: 31 – 32]، وخصائص الصلاة كثيرة جدًّا لا تقاس بغيرها .

حكم تارك الصلاة:

إن هذه المسألة من مسائل العلم الكبرى، وقد تنازع فيها أهل العلم سلفاً وخلفاً، فقال الإمام أحمد بن حنبل: "تارك الصلاة كافر كفراً مخرجاً من الملة، يقتل إذا لم يتب ويصل."

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: "فاسق ولا يكفَّر."
ثم اختلفوا فقال مالك والشافعي: "يقتل حداً" وقال أبو حنيفة: "يعزر ولا يقتل."
وإذا كانت هذه المسألة من مسائل النزاع، فالواجب ردها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.وإذا رددنا هذا النزاع إلى الكتاب والسنة ، وجدنا أن الكتاب والسنة كلاهما يدل على كفر تارك الصلاة ، الكفر الأكبر المخرج عن الملة.

أولاً: من الكتاب:

قال تعالى في سورة التوبة: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة : 11] وقال في سورة مريم : {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً} [مريم: 59-60].

فوجه الدلالة من الآية الثانية – آية سورة مريم – أن الله قال في المضيعين للصلاة ، المتبعين للشهوات : (إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ) فدل على أنهم حين إضاعتهم للصلاة واتباع الشهوات غير مؤمنين.

ووجه الدلالة من الآية الأولى – آية سورة التوبة – أن الله تعالى اشترط لثبوت الأخوة بيننا وبين المشركين ثلاثة شروط:

*أن يتوبوا من الشرك.

*أن يقيموا الصلاة.

*أن يؤتوا الزكاة.

ثانياً : من السنة:

1- قال صلى الله عليه وسلم : "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة[1]. "

[1] رواه مسلم ، كتاب الأيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، رقم (82).

2-وعن بريده بن الحصيب رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، يقول : "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر"[1].

والمراد بالكفر هنا : الكفر المخرج عن الملة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة فصلاً بين المؤمنين والكافرين ، ومن المعلوم أن ملة الكفر غير ملة الإسلام ، فمن لم يأت بهذا العهد فهو من الكافرين.

3-وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "ستكون أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع . قالوا : "أفلا نقاتلهم ؟ قال : "لا ما صلوا".[2]

4-وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم". قيل : يا رسول الله ، أفلا ننابذهم بالسيف ؟ قال : "لا ما أقاموا فيكم الصلاة[3]."

ففي هذين الحديثين الأخيرين دليل على منابذة الولاة وقتالهم بالسيف إذا لم يقيموا الصلاة ، ولا تجوز منازعة الولاة وقتالهم إلا إذا أتوا كفراً صريحاً ، عندنا فيه برهان من الله تعالى ، لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه : "دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا ، أن بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرةٍ علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ". قال : " إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان[4]".

وعلى هذا فيكون تركهم للصلاة الذي علق عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، منابذتهم وقتالهم بالسيف كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان. ولم يرد في الكتاب والسنة أن تارك الصلاة ليس بكافر أو أنه مؤمن ، وغاية ما ورد في ذلك نصوص تدل على فضل التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وثواب ذلك ، وهي إما مقيدة بقيود في النص نفسه يمتنع معها أن

---

[1] رواه أحمد (346/5) والترمذي، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في ترك الصلاة ، رقم (2621).

[2] رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع ، رقم (1854).

[3] رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم رقم (1855).

[4] رواه البخاري ، كتاب الفتن ، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم : "سترون بعدي أموراً تنكرونها" رقم (7055-7056) ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم (1709).

يترك الصلاة ، وإما واردة في أحوال معينة يعذر الإنسان فيها بترك الصلاة ، وإما عامة فتحمل على أدلة كفر تارك الصلاة ؛ لأن أدلة كفر تارك الصلاة خاصة ، والخاص مقدَّم على العام.

3-1-2 أفعال الصلاة و ما فيها من حكم :

الوضوء:

تَأْثيرُ الوضُوء على النَّفْس [1]:

إن عملية الوضوء تفيد صاحبها نشاطا وهمة وتزيل ما يعرض لجسده من الفتور والاسترخاء الذي يعقب خروج الفضلات وما يعقب النوم من الفتور , كما يشعر النفوس طمأنينة وسكناً من تخلصها مما علق بها من أدران وإضفاء نوع من الإحساس الروحي عليها يساعدها على ترهيف أحاسيسها التي هي المدخل إلى تذوق فائدة الصلاة والالتذاذ بالعبادة :ولهذا كان الوضوء مخففاً لحدة توتر الأعصاب والغضب , فقال الرسول :" الغضب من الشيطان , من النار , وإنما تطفأ النار فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " رواه أبو داود. كما أن امتثال المؤمن لأمر الله بالقيام بعملية الوضوء ابتغاء مرضاته لما يغذي الإيمان بالله ويطبع في النفس ملكة مراقبته التي هي سبب هام في إصلاح الأعمال وسكينة النفس .

الطَّهارةُ الباطنيَّةُ[2]:

والطهارة في مجملها تقسم إلى أمرين :طهارة من الأحداث الظاهرة بالبدن وطهارة باطنية تتمثل بتطهير القلب من الأفكار والأحاسيس الدنيئة والجوارح من الأفعال الذميمة .فعملية الوضوء التي تتكرر في اليوم والليلة عدة مرات ما هي إلا عملية رمزية لغسل الآثام وجعل النفس في رقابة ذاتية , وتوبة مستمرة . هذه هي أهداف الوضوء الروحية التي صورها الرسول محمد عليه السلام بقوله : " إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه , كُلّ خطيئة نَظَرَ إليها بعينيه مع الماء , أو مع أخر قطر الماء , فإذا غسل يديه خرجت من يديه كُلّ خطيئة بطشها يداه مع الماء , أو مع أخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب "[3] .

فهذا الحديث النبوي يدلنا على أن الوضوء ليس مجرد غسل ظاهر لأعضاء الإنسان بالماء لتنظيفها من الأقذار فقط , بل إن من غاياته السامية أن يطهرها أيضا طهارة معنوية . فقد يكون الإنسان قد أباح لعينيه أن تتبع العورات , أو تنظر نظرات كبر واحتقار لإخوانه في الإنسانية , أو يكون قد سخّر تفكيره في الأضرار بالناس , وربما يكون قد استعمل يده في إيقاع الأذى بالغير , أو سلب حقوقهم المشروعة ,وربما تكون رجلاه قد حملتاه إلى مكان فيه ما

---

[1] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام،مرجع سابق (ص:80).

[2] مرجع نفسه (ص:81).

[3] أخرجه مالك و مسلم عن أبي هريرة.

يغضب الله من عبث أو ضلال , فغسل الإنسان هذه الأعضاء يوحي له أن عليه أن يغسل معها آثامها , ويجعل في نفسه إحساسا ووازعا للابتعاد عن الشر .

الوضُوءُ عَمليةُ استعْداد للصَّلاة [1]:

"ومن حكم الوضوء الاستعداد للصلاة , لأن جوهر الصلاة هو يتصور الشخص نفسه أمام الخالق خاشعاً , ولكي يتهيأ ذهنه لذلك ويتخلص من شواغل الحياة الكثيرة فُرضَ عليه الوضوء قبل القيام إلى العبادة .وبان ذلك :أن الإنسان إذا كان مشغولاً بتفكير عميق فانه لا يمكنه أن يفكر في شئ أخر إلا إذا تنبه إليه بانفعالات عصبية , وهنا يترك التفكير الأول فجأة وعى عجل , وإذا أُريد تنبيه ليفكر في شئ أخر تفكيراً هادئاً فانه يحتاج إلى وقت , فان الذي يفكر في التجارة والصناعة ثم يُقال له :قم للعبادة يجد صعوبة في تأديتها , وهنا كانت محكمة الوضوء لأنه يساعد على ترك التفكير الأول ويعطيه الوقت الكافي ليبدأ في تفكير عميق من نوع أخر ".

فَائدة الوضوء الصّحية[2]:

ففي الوضوء الذي يُراق فيه الماء على الوجه واليدين خمس مرات تقريباً في اليوم والليلة لما يقبض العروق الشعرية والسطحية الجلدية أولا , ثم تعود منبسطة إلى حالتها الأولى . وبهذا القبض والبسط تزداد حركة القلب وتنشط المبادلات في الجسم , وتقوى الحركات التنفسية ويزيد في استنشاق الأوكسجين ودفع الكربون , وبذلك يحصل تنبه الأعصاب المدركة المحركة و يسري هذا التنبيه إلى جميع الأعصاب القلبية والرئوية والمعدية ومنها إلى جميع الأعضاء والغدد.وعملية الوضوء تقي العيون من إصابتها بالرمد لان العين تغسل بالماء النظيف عدة مرات في اليوم , كذلك الاستنشاق بالماء و الاستنثار , فمن فوائدها تطهير مجاري الأنف من الجراثيم التي تتجمع في جوانبه .وفوائد غسل الوجه واليدين والأذنين ظاهرة لكثرة ما يصيب الوجه والأجزاء المكشوفة عادة من الإمراض الجلدية والالتهابات , فان غسلها عدة مرات كل يوم أحسن وقاية لها من ذلك , وقد اتضح أن كثيراً من الجراثيم تصيب الإنسان بطريق اختراق الجلد , ولاشك أن الغسل المتكرر يعتبر من الوقايات البسيطة الفعالة .وأما الجراثيم التي تدخل من الفم لا تدخل إلا من طريق تلوث الأيدي فإذا كانت الأيدي المغسولة نظيفة على دوام كانت أحسن وقاية من أكثر

[1] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام،مرجع سابق (ص:82).

[2] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام،مرجع سابق (ص:82).

الأمراض الهضمية الطفيلية تفشياً "كالطفيليات الهضمية " والتيفؤيد , والشلل "مرض البوليوميليت" فهذه الأمراض تلج الجسم من طريق الأيدي الملوثة[1].

حكْمَةُ التَّوَجُّه إلى القبْلَة[2]:

ولما كان تعظيم شعائر الله وبيوته واجباً , وكان التوجه في الصلاة إلى ما هو مختص بالله لطلب رضاه والتقرب منه اجمع للخاطر وادعى للخشوع واقرب لحضور القلب مع الله لان الخشوع لا يكون إلا مع السكون والركون إلى جهة معينة لا التوجه من جهة إلى جهة , لهذا كله اقتضت الحكمة الإلهية أن يتوجه في صلاتهم إلى الكعبة كما أن في التوجه المسلمين في أقطار العالم إلى قبلة واحدة في صلواتهم هو داعية إلى وحدتهم وتألفهم , إذ لو فوّض الأمر إلى المصلي لغلب على نفسه الاضطراب والحيرة فلا يدري أي الجهات اقرب إلى الله , ولكان ذلك مظهراً من مظاهر التفرقة بين الإخوة المؤمنين , لهذا كانت القبلة مظهراً من مظاهر الوحدة بين المؤمنين .وليس المقصود من استقبال الكعبة _عبادة عينها _ فهذا كفر , بل المقصود بذلك وجه الله ومناجاته وحده , والله في كل مكان . فقد جاء في القران : {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[البقرة :115].

حقيقة التكبير[3]:

ثم كَبَّرَه بالتعظيم والإجلال وواطأ قلبه في التكبير لسانه فكان الله أكبر في قلبه من كل شيء

---

[1] مرجع نفسه.

[2] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام،مرجع سابق (ص:121).

[3] ابن القيم.دوق الصلاة.(ط:02؛الرياض: دار الحضارة،1430هـ) (ص:19).

وصدق هذا التكبير بأنه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله يشغله عنه، فإذا اشتغل عن الله بغيره وكان ما اشتغل به أهم عندهم من الله كان تكبيره بلسانه دون قلبه.

فالتكبير:

1 – يخرجه من لبس رداء التكبر المنافي للعبودية.

2 – ويمنعه من التفات قلبه إلى غير الله.

فإذا كان الله عنده وفي قلبه أكبر من كل شيء منعه حق قول الله أكبر والقيام بعبودية التكبير عن هاتين الآفتين اللتين هما من أعظم الحجب بينه وبين الله.

دعاء الاستفتاح[1]:

فإذا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك» وأثنى على الله بما هو أهله، فقد خرج عن الغفلة التي هي حجاب أيضًا بينه وبين الله.

وأتى بالتحية والثناء الذي يخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيمًا له وتمجيدًا ومقدمة بين يدي حاجته، فكان في هذا الثناء من أدب العبودية ما يستجلب به إقباله عليه ورضاه عنه وإسعافه بحوائجه.

الاستعاذة بالله[2]:

فإذا شرع في القراءة قدم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان فإنه أحرص ما يكون على العبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقاماته وأنفعها له في دنياه وآخرته، فهو أحرص شيء على صرفه عنه واقتطاعه دونه بالبدن والقلب، فإن عجز عن اقتطاعه وتعطيله عنه بالبدن اقتطع قلبه وعطله عن القيام بين يدي الرب تعالى، فأمر العبد بالاستعاذة بالله منه ليسلم له مقامه بين يدي ربه، وليحيي قلبه ويستنير بما يتدبره ويتفهمه من كلام سيده الذي هو سبب حياته ونعيمه وفلاحه، فالشيطان أحرص على اقتطاع قلبه عن مقصود التلاوة.ولما علم سبحانه حسد العدو وتفرغه للعبد، وعجز العبد عنه، أمره بأن يستعيذ به سبحانه ويلتجئ إليه في صرفه عنه فيكتفي بالاستعاذة مؤنة محاربته ومقاومته، فكأنه قيل له: لا طاقة لك بهذا العدو فاستعذ بي واستجر بي

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:20).

[2] المرجع نفسه (ص:21).

أكفكه وأمنعك منه.

وقال لي شيخ الإسلام ابن تيميه قدس الله روحه يومًا: «إذا هاش عليك كلب الغنم فلا تشتغل بمحاربته ومدافعته، وعليك بالراعي فاستغث به فهو يصرف عنك الكلب».

فإذا استعاذ بالله من الشيطان بَعُدَ منه فأفضى القلب إلى معاني القرآن، ووقع في رياضه المونقة وشاهد عجائبه التي تبهر العقول،واستخرج من كنوزه وذخائره ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وكان الحائل بينه وبين ذلك, النفس والشيطان، والنفس منفعلة للشيطان سامعة منه فإذا بعد عنها وطرد لمَّ بها الملك وثبتها وذكرها بما فيه سعادتها ونجاتها.

القراءة[1]:

فإذا أخذ في قراءة القرآن فقد قام في مقام مخاطبة ربه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرض لمقته وسخطه أن يناجيه ويخاطبه وهو معرض عنه ملتفت إلى غيره، فإنه يستدعي بذلك مقته ويكون بمنزلة رجل قربه ملك من ملوك الدنيا فأقامه بين يديه، فجعل يخاطبه الملك وقد ولاه قفاه أو التفت عنه بوجهه يمنة ويسرة، فما الظن بمقت الملك لهذا، فما الظن بالملك الحق المبين الذي هو رب العالمين وقيوم السماوات والأرض.وليقف عند كل آية من الفاتحة ينتظر جواب ربه له وكأنه سمعه يقول: حمدني عبدي حين يقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فإذا قال: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وقف لحظة ينتظر قوله: «أثنى علي عبدي» فإذا قال: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} انتظر قوله: «مجدني عبدي» فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} انتظر قوله: «هذا بيني وبين عبدي» فإذا قال: {أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إلى آخر انتظر قوله: «هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»[2].

طعم الصلاة[3]:

ومن ذاق طعم الصلاة علم أنه لا يقوم غير التكبير والفاتحة مقامهما، كما لا يقوم غير القيام والركوع والسجود مقامها، فلكل عبودية من عبودية الصلاة سر وتأثير وعبودية لا تحصل من غيرها، ثم لكل آية من آيات الفاتحة عبودية وذوق ووجد يخصها.

---

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:22).

[2] إشارة إلى حديث أبي هريرة وأوله «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» وقد أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (1/ 296).

[3] المرجع نفسه (ص:23).

الحمد لله[1]:

فعند قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} تجد تحت هذه الكلمة إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفًا واسمًا, وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلاً ووصفًا واسمًا, فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه, منزه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه، فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل لا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت جلال، وأسماؤه كلها حسنى، وحمده قد ملأ الدنيا والآخرة والسماوات والأرض وما بينهما وما فيهما فالكون كله ناطق بحمده، والخلق والأمر صادر عن حمده وقائم بحمده ووجد بحمده؛ فحمده هو سبب وجود كل موجود، وهو غاية كل موجود، وكل موجود شاهد بحمده، وإرساله رسوله بحمده، وإنزاله كتبه بحمده، والجنة عمرت بأهلها بحمده، والنار عمرت بأهلها بحمده، وما أطيع إلا بحمده وما عُصي إلا بحمده، ولا تسقط ورقة إلا بحمده، ولا يحرك في الكون ذرة إلا بحمده، وهو المحمود لذاته، وإن لم يحمده العباد، كما أنه هو الواحد الأحد ولو لم يوحده العباد، والإله الحق وإن لم يؤلهوه، وهو سبحانه الذي حمد نفسه على لسان القائل: الحمد لله رب العالمين، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله تعالى قال على لسان نبيه: سمع الله لمن حمده»[2].

فهو الحامد لنفسه في الحقيقة على لسان عبده، فإنه الذي أجرى الحمد على لسانه وقلبه وإجراؤه بحمده.فله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فهذه المعرفة من عبودية الحمد.ومن عبوديته أيضًا أن يعلم أن حمده لربه سبحانه نعمة منه عليه، يستحق عليها الحمد فإذا حمده على هذه النعمة استوجب عليه حمدًا آخر على نعمة حمده وهلم جرا.

فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلها في حمده على نعمة من نعمه كان ما يجب له من الحمد ويستحق فوق ذلك وأضعاف، ولا يُحصي أحد البتة ثناء عليه بمحامده.

ومن عبودية العبد شهود العبد لعجزه عن الحمد وأن ما قام به منه، فالرب سبحانه هو المحمود عليه إذ هو مجريه على لسانه وقلبه.

ومن عبوديته تسليط الحمد على تفاصيل أحوال العبد كلها ظاهرة وباطنة على ما يحب العبد وما يكرهه، فهو سبحانه المحمود على ذلك كله في الحقيقة وإن غاب عن شهود العبد.

---

[1] المرجع نفسه.

[2] إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مسلم (404).

رب العالمين[1]:

ثم لقوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} من العبودية شهود تفرده سبحانه بالربوبية، وأنه كما أنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم وموجدهم ومفنيهم فهو وحده إلههم ومعبودهم وملجأهم ومفزعهم عند النوائب فلا رب غيره، ولا إله سواه.

الرحمن الرحيم[2]:

ثم لقوله: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} عبودية تخصها، وهي شهود عموم رحمته وسعها لكل شيء وأخذ كل موجود بنصيبه منها، ولا :سيما الرحمة الخاصة التي أقامت عبده بين يديه في خدمته يناجيه بكلامه ويتملقه ويسترحمه ويسأله هدايته ورحمته وإتمام نعمته عليه، فهذا من رحمته بعبده، فرحمته وسعت كل شيء, كما أن حمده وسع كل شيء.

مالك يوم الدين[3]:

ثم يُعطي قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} عبوديتها ويتأمل تضمنها لإثبات المعاد، وتفرد الرب فيه بالحكم بين خلقه، وأنه يوم يدين فيه العباد بأعمالهم في الخير والشر وذلك من تفاصيل حمده، وموجبه.

ولما كان قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إخبارًا عن حمده تعالى قال الله: «حمدني عبدي» ولما كان قوله: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} إعادة وتكريرًا لأوصاف كماله قال: «أثنى علي عبدي» فإن الثناء إنما يكون بتكرار المحامد وتعداد أوصاف المحمود، ولما وصفه سبحانه بتفرده بـ {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وهو الملك الحق المتضمن لظهور عدله وكبريائه وعظمته ووحدانيته وصدق رسله، سمى هذا الثناء مجدًا فقال: «مجدني عبدي» فإن التمجيد هو الثناء بصفات العظمة والجلال.

إياك نعبد وإياك نستعين[4]:

فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} انتظر جواب ربه له: «هذا بيني وبين عبدي؛ ولعبدي ما سأل» وتأمل عبودية هاتين الكلمتين وحقوقهما ومَيِّزَ الكلمة التي لله والكلمة التي للعبد، وَفَقِهَ

---

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:25).

[2] المرجع نفسه.

[3] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:26).

[4] المرجع نفسه.

سرَّ كون إحداهما لله والأخرى للعبد، وميز بين التوحيد الذي تقتضيه كلمة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} والتوحيد الذي تقتضيه كلمة {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وَفَقِهَ سرَّ كون هاتين الكلمتين في وسط السورة بين نوعي الثناء قبلهما والدعاء بعدهما, وَفَقِهَ تقديم: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} على {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وتقديم المعمول على الفعل مع الإتيان به مؤخرًا، أوجز وأشد اختصارًا، وسر إعادة الضمير مرة بعد مرة، وعلم ما دفع كل واحدة من الكلمتين من الآفة المنافية للعبودية، وكيف تدخله الكلمتان في صريح العبودية، وَعَلِمَ كيف يدور القرآن من أوله إلى آخره على هاتين الكلمتين بل كيف يدور عليهما الخلق والأمر والثواب والعقاب والدنيا والآخرة، وكيف تضمنتا لأجلَّ الغايات وأكمل الوسائل، وكيف جيء بهما بضمير الخطاب والحضور دون ضمير الغائب.

أهدنا الصراط المستقيم[1]:

ثم تأمل ضرورته وفاقته إلى قوله: {أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الذي مضمونه:

1 – معرفة الحق.

2 – وقصده وإرادته.

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:27).

3 – والعمل به.

4 – والثبات عليه.

5 – والدعوة إليه والصبر على أذى المدعو.

فباستكمال هذه المراتب الخمس تستكمل الهداية وما نقص منها نقص من هدايته.

أمور الهداية[1]:

ولما كان العبد مفتقرًا إلى هذه الهداية في ظاهره وباطنه في جميع ما يأتيه ويذره من:

1 – أمور قد فعلها على غير الهداية علمًا، وعملاً وإرادة فهو محتاج إلى التوبة منها وتوبته منها هي الهداية.

2 – وأمور قد هدي إلى أصلها دون تفصيلها، فهو محتاج إلى هداية تفاصيلها.

3 – وأمور قد هدي إليها من وجه دون وجه فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها؛ لتتم له الهداية ويزاد هدى إلى هداه.

4 – وأمور يحتاج فيها إلى أن يحصل له من الهداية في مستقبلها مثلما حصل له في ماضيها.

5 – وأمور يعتقد فيها بخلاف ما هي عليه، فهو محتاج إلى هداية تنسخ من قلبه ذلك الاعتقاد، وتثبت فيه ضده.

6 – وأمور من الهداية هو قادر عليها، ولكن لم يخلق له إرادة فعلها فهو محتاج في تمام الهداية إلى خلق إرادة يفعلها بها.

7 – وأمور منها هو غير قادر على فعلها مع كونه مريدًا فهو محتاج في هدايته إلى إقداره عليها.

8 – وأمور منها هو غير قادر عليها ولا مريد لها فهو محتاج إلى خلق القدرة والإرادة له لتتم له الهداية.

9 – وأمور هو قائم بها على وجه الهداية اعتقادًا وإرادة وعملاً فهو محتاج إلى الثبات عليها واستدامتها.

كانت حاجته إلى سؤال الهداية أعظم الحاجات وفاقته إليها أشد الفاقات، فرض عليه الرب الرحيم هذا السؤال كل يوم وليلة في أفضل أحواله، وهي الصلوات الخمس مرات متعددة، لشدة

[1] المرجع نفسه (ص:28).

ضرورته وفاقته إلى هذا المطلوب.

الناس والهداية[1]:

ثم بَيَّن أن سبيل أهل هذه الهداية مغاير لسبيل أهل الغضب وأهل الضلال، فانقسم الخلق إذًا ثلاثة أقسام بالنسبة إلى هذه الهداية:

1 – مُنْعَمٌ عليه بحصولها، واستمرار حظه من النعم بحسب حظه من تفاصيلها وأقسامها.

2 – وضال لم يُعْطَ هذه الهداية ولم يوفق لها.

3 – ومغضوبٌ عليه عرفها ولم يوفق للعمل بموجبها.

فالأول: المنعم عليه قام بالهدى ودين الحق علمًا، عملاً والضال منسلخ عنه علمًا وعملاً والمغضوب عليه عارف به علمًا منسلخ منه عملاً.

مشروعية التأمين[2]:

ثم شرع له التأمين عند هذا الدعاء تفاؤلاً بإجابته وحصوله وطابعًا عليه وتحقيقًا له، ولهذا اشتد حسد اليهود للمسلمين عليه حين سمعوهم يجهرون به في صلاتهم.

الركوع[3]:

ثم شرع له رفع اليدين عند الركوع؛ تعظيمًا لأمر الله وزينة للصلاة وعبودية خاصة لليدين كعبودية باقي الجوارح، واتباعًا لسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو حلية الصلاة، وزينتها، وتعظيمًا لشعائرها.ثم شرع له التكبير الذي هو في انتقالات الصلاة من ركن إلى ركن كالتلبية في انتقالات الحاج من مشعر إلى مشعر، فهو شعار الصلاة كما أن التلبية شعار الحج؛ ليعلم العبد أن سر الصلاة هو تعظيم الرب تعالى وتكبيره بعبادته وحده.

ثم شرع له بأن يخضع للمعبود سبحانه بالركوع خضوعًا لعظمته واستكانة لهيبته وتذللا لعزته، فثنى العبد له صلبه ووضع له قامته ونكس له رأسه وحنى له ظهره معظمًا له ناطقًا بتسبيحه المقترن بتعظيمه، فاجتمع له خضوع القلب وخضوع الجوارح، وخضوع القول، على أتم الأحوال وجمع له في هذا الذكر بين الخضوع والتعظيم لربه والتنزيه له عن خضوع العبيد وأن الخضوع وصف العبد

---

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:29).

[2] المرجع نفسه (ص:30).

[3] المرجع نفسه.

والعظمة وصف الرب.وتمام عبودية الركوع أن يتصاغر العبد ويتضاءل بحيث يمحو تصاغره كل تعظيم منه لنفسه ويثبت مكانه تعظيمه لربه وكلما استولى على قلبه تعظيم الرب ازداد تصاغره هو عند نفسه، فالركوع للقلب بالذات والقصد وللجوارح بالتبع والتكملة.

الاعتدال من الركوع[1]:

ثم شرع له أن يحمد ربه ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن هيأته منتصب القامة معتدلها، فيحمد ربه ويثني عليه بأن وفقه لذلك الخضوع، ثم نقله منه إلى مقام الاعتدال والاستواء بين يديه، واقفًا في خدمته كما كان في حال القراءة.

ولذلك الاعتدال ذوق خاص وحال يحصل للقلب سوى ذوق الركوع وحاله، وهو ركن مقصود لذاته كَرُكْن الركوع والسجود سواء؛ ولهذا كان رسول الله يطيله كما يطيل الركوع والسجود ويكثر فيه من الثناء والحمد والتمجيد كما ذكرناه في هديه – صلى الله عليه وسلم – وكان في قيام الليل يكثر فيه من قول: «لربي الحمد لربي الحمد» يكررها.

السجدة الأولى[2]:

ثم شرع له أن يكبر ويخر ساجدًا، ويعطي في سجوده كل عضو من أعضائه حظه من العبودية فيضع ناصيته بالأرض بين يدي ربه مسندة راغمًا له أنفه خاضعًا له قلبه، ويضع أشرف ما فيه وهو وجهه بالأرض ولا سيما على التراب معفرًا له بين يدي سيده راغمًا له أنفه مخضعًا له قلبه وجوارحه، متذللا لعظمته، خاضعًا لعزته مستكينًا بين يديه، أذل شيء وأكسره لربه تعالى مسبحًا له بعلوه في أعظم سفوله، قد صارت أعاليه ملوية لأسافله ذلاً وخضوعًا وانكسارًا وقد طابق قلبه حال جسمه، فسجد القلب كما سجد الوجه، وقد سجد معه أنفه ويداه وركبتاه ورجلاه.

وشرع له أن (يقل) فخذيه عن ساقيه، وبطنه عن فخذيه، وعضديه عن جنبيه، ليأخذ كل جزء منه حظه من الخضوع ولا يحمل بعضه بعضًا.

فأحرى به في هذه الحال أن يكون أقرب إلى ربه منه في غيرها من الأحوال كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».[3]

---

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:31).

[2] المرجع نفسه (ص:32).

[3] هذا الحديث رواه أبو هريرة، وقد أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (1/ 350).

سجود القلب[1]:

ولما كان سجود القلب خضوعه التام لربه، أمكنه استدامة هذا السجود إلى يوم لقائه.

كما قيل لبعض السلف هل يسجد القلب؟ قال: (أي والله سجدة لا يرفع رأسه منها حتى يلقى الله)[2].

الاعتدال من السجود[3]:

ثم شرع له أن يرفع رأسه ويعتدل جالسًا، ولما كان هذا الاعتدال محفوفًا بسجودين: سجود قبله وسجود بعده، فينتقل من السجود إليه ثم منه إلى السجود كان له شأن.

فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطيله بقدر السجود يتضرع فيه إلى ربه، ويستغفره ويسأله رحمته وهدايته ورزقه وعافيته [4] وله ذوق خاص وحال للقلب غير ذوق السجود وحاله.

الجلوس بين السجدتين وذوقه[5]:

فالعبد في هذا القعود قد تمثل جاثيًا بين يدي ربه, ملقيًا نفسه بين يديه، معتذرًا إليه مما جناه، راغبًا إليه أن يغفر له ويرحمه, مستعديًا على نفسه الأمارة بالسوء.

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكرر الاستغفار [6] في هذه القعدة، ويكثر رغبته إلى الله فيها.

---

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:33).

[2] القائل: سهل بن عبد الله التستري كما في مجموع الفتاوى لابن تيمية (23/ 138).

[3] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:35).

[4] إشارة إلى حديث ابن عباس وقد أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب الدعاء بين السجدتين (1/ 224) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني».

[5] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:35).

[6] إشارة إلى حديث حذيفة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول بين السجدتين: «رب اغفر لي رب اغفر لي» أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ما يقول بين السجدتين (1/ 288) والنسائي كتاب الافتتاح باب ما يقول في قيامه ذلك (2/ 199).

فمثل نفسك بمنزلة غريم عليه حق الله وأنت كفيل به, والغريم مماطل مخادع وأنت مطلوب بالكفارة والغريم مطلوب بالحق.فأنت تستعدي عليه, حتى تستخرج ما عليه من الحق؛ لتتخلص من المطالبة.

والقلب شريك النفس في الخير والشر والثواب والعقاب والحمد والذم، والنفس من شأنها الإباق والخروج من رق العبودية، وتضييع حقوق الله التي قبلها, والقلب شريكها إن قوي سلطانها وأسيرها وهي شريكته وأسيرته إن قوي سلطانه.

جماع الخير[1]:

فشرع للعبد إذا رفع رأسه من السجود, أن يجثو بين يدي الله مستعديًا على نفسه، معتذرًا إلى ربه مما كان منها، راغبًا إليه أن يرحمه ويغفر له ويهديه ويرزقه ويعافيه وهذه الخمس هي جماع خير الدنيا والآخرة.

فإن العبد محتاج بل مضطر إلى تحصيل مصالحه في الدنيا وفي الآخرة، ودفع المضار عنه في الدنيا والآخرة، وقد تضمنها هذا الدعاء، فإن الرزق يجلب له مصالح دنياه, والعافية تدفع مضارها, والهداية تجلب له مصالح أخراه، والمغفرة تدفع عنه مضارها، والرحمة تجمع ذلك كله.

السجدة الثانية[2]:

وشرع له أن يعود ساجدًا كما كان ولا يكتفي منه بسجدة واحدة في الركعة كما اكتفى منه بركوع واحد لفضل السجود وشرفه وموقعه من الله حتى أنه أقرب ما يكون إلى عبده وهو ساجد، وهو أدخل في العبودية، وأعرق فيها من غيره؛ ولهذا جعل خاتمة الركعة وما قبله كالمقدمة بين يديه، فمحله من الصلاة محل طواف الزيارة، وما قبله من التعريف وتوابعه مقدمات بين يديه وكما أنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فكذلك أقرب ما يكون منه في المناسك وهو طائف.ولهذا قال بعض الصحابة لمن كلمه في طوافه بأمر من الدنيا: "أتقول هذا ونحن نتراءى لله في طوافنا".ولهذا والله أعلم جعل الركوع قبل السجود تدريجًا وانتقالا من الشيء إلى ما هو أعلى منه.

---

[1] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:37).

[2] المرجع نفسه (ص:38).

جلوس التشهد[1]:

فلما قضى صلاته وأكملها ولم يبق إلا الانصراف منها شرع الجلوس بين يدي ربه مثنيًا عليه بأفضل التحيات التي لا تصلح إلا له ولا تليق بغيره.

التحيات لله[2]:

ولما كان عادة الملوك أن يحيوا بأنواع التحيات من الأفعال والأقوال المتضمنة للخضوع والثناء وطلب البقاء ودوام الملك، فمنهم من يحيي بالسجود ومنهم من يحيي بالثناء عليه، ومنهم من يحيي بطلب البقاء والدوام له، ومنهم من يجمع له ذلك كله، فكان الملك الحق سبحانه أولى بالتحيات كلها من جميع خلقه، وهي له بالحقيقة، ولهذا فسرت التحيات بالملك، وفسرت بالبقاء والدوام وحقيقتها ما ذكرته وهي تحيات الملك، فالملك الحق المبين أولى بها.فكل تحية يحيى بها ملك من سجود أو ثناء أو بقاء ودوام فهي لله عز وجل، ولهذا أتى بها مجموعة معرفة باللام أداة العموم وهي جمع تحية، وهي تفعيلة من الحياة، وأصلها تحيية بوزن تكرمة ثم أدغم أحد المثلين في الآخر فصارت تحية، وإذا كان أصلها من الحياة فالمطلوب لمن يُحيَّى بها دوام الحياة.وكانوا يقولون لملوكهم: لك الحياة الباقية ولك الحياة الدائمة، وبعضهم يقول: عشرة آلاف سنة، واشتق منها أدام الله أيامك، وأطال الله بقاءك، نحو ذلك مما يراد به دوام الحياة والملك وذلك لا ينبغي إلا للحي الذي لا يموت وللملك الذي كل ملك زائل غير ملكه.

والصلوات[3]:

ثم عطف عليها الصلوات بلفظ الجمع والتعريف ليشمل كل ما أطلق عليه لفظ الصلاة خصوصًا وعمومًا فكلها لله لا تنبغي إلا له فالتحيات له ملكًا، والصلوات له عبودية واستحقاقًا فالتحيات لا تكون إلا له والصلوات لا تنبغي إلا له.

والطيبات[4]:

ثم عطف عليها الطيبات كذلك، وهذا يتناول أمرين: الوصف والملك.فأما الوصف فإنه سبحانه

---

[1] المرجع نفسه.

[2] المرجع نفسه (ص:39).

[3] ابن القيم.دوق الصلاة، مرجع سابق (ص:40).

[4] المرجع نفسه.

طيب، وكلامه طيب، وفعله كله طيب، ولا يصدر منه إلا الطيب، ولا يضاف إليه إلا الطيب، ولا يصعد إليه إلا الطيب فالطيبات له وصفًا وفعلاً وقولا ونسبة، وكل طيب مضاف إليه، وكل مضاف إليه طيب، فله الكلمات الطيبة والأفعال الطيبات، وكل مضاف إليه كبيته وعبده وروحه وناقته وجنته فهي طيبات.وأيضًا فمعاني الكلمات الطيبات لله وحده فإن الكلمات الطيبات تتضمن تسبيحه وتحميده وتكبيره وتمجيده والثناء عليه بآلائه وأوصافه فهذه الكلمات الطيبات التي يثنى عليه بها ومعانيها له وحده لا يشركه فيها غيره، كسبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك [1] ونحو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر [2] ونحو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم[3].فكل طيب فله وعنده ومنه وإليه، وهو طيب لا يقبل إلا طيبًا، وهو إله الطيبين، وجيرانه في دار كرامته هم الطيبون.فتأمل أطيب الكلمات بعد القرآن كيف لا تنبغي إلا لله، وهي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».فإن «سبحان الله» تتضمن تنزيهه عن كل نقص وعيب وسوء، وعن خصائص المخلوقين وشبههم.و «الحمد لله» تتضمن إثبات كل كمال له قولاً وفعلاً ووصفًا على أتم الوجوه وأكملها أزلًا وأبدًا.و «لا إله إلا الله» تتضمن انفراده بالإلهية، وأن كل معبود سواه فباطل، وأنه وحده الإله الحق وأنه من تأله غيره فهو بمنزلة من اتخذ بيتًا من بيوت العنكبوت يأوي إليه ويسكنه.و «الله أكبر» تتضمن أنه أكبر من كل شيء وأجل وأعظم وأعز وأقوى وأقدر وأعلم وأحكم، فهذه الكلمات الطيبات لا تصلح هي ومعانيها إلا لله وحده.

السلام على النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى عباد الله الصالحين[4]:

ثم شرع له أن يسلم على عباد الله الذين اصطفى بعد تقدم الحمد والثناء عليه بما هو أهله فطابق

---

[1] إشارة إلى حديث أن عمر بن الخطاب كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» رواه مسلم كتاب الصلاة باب حجة من قال لا تجهر بالبسملة (1/ 299).

[2] إشارة إلى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (4/ 2072).

[3] إشارة إلى حديث أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» رواه البخاري كتاب الدعاء باب فضل التسبيح (8/ 107).

[4] ابن القيم.دوق الصلاة،مرجع سابق (ص:43).

ذلك قوله تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 59] وكأنه امتثال له.وأيضًا فإن هذه تحية المخلوق فشرعت بعد تحية الخالق وقدم في هذه التحية أولى الخلق بها، وهو النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي نالت أمته على يده كل خير، وعلى نفسه بعده، وعلى سائر عباد الله الصالحين وأخصهم بهذه التحية الأنبياء، ثم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، مع عمومها لكل عبد لله صالح في الأرض والسماء.

شهادة الحق[1]:

ثم شرع له بعد ذكر هذه التحية والتسليم على من يستحق التسليم خصوصًا وعمومًا أن يشهد شهادة الحق التي بنيت عليها الصلاة، وهي حق من حقوقها ولا تنفعه إلا بقرينتها وهي شهادة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة وختمت بها الصلاة، كما قال عبد الله بن مسعود (فإذا قلت ذلك فقد قضيت صلاتك فإن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد.[2]وهذا إما أن يحمل على قضاء الصلاة حقيقة كما يقوله الكوفيون، أو على مقاربة انقضائها ومشارفته كما يقوله أهل الحجاز وغيرهم.وعلى التقديرين فجعلت شهادة الحق خاتمة الصلاة كما شرع أن تكون خاتمة الحياة، فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[3]. وكذلك شرع للمتوضئ أن يختم وضوءه بالشهادتين .[4]

الخشوع في الصلاة[5]:

أمرنا الله تعالى بإقامة الصلاة، وهو الإتيان بها قائمة تامة القيام والركوع والسجود والأذكار، وقد علق الله سبحانه الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، فمن فاته خشوع الصلاة، لم يكن من أهل

---

[1] المرجع نفسه.

[2] رواه أبو داود وكتاب الصلاة باب التشهد (1/ 254) والدارقطني كتاب الصلاة، باب صفة التشهد (1/ 353).

[3] إشارة إلى حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «من كا ن آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وقد أخرجه أبو داود كتاب الجنائز باب في الثقلين (3/ 190).

[4] إشارة إلى حديث عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» رواه مسلم كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء (1/ 210).

[5] ابن رجب الحنبلي،الخشوع في الصلاة تحقيق: احمد مصطفى قاسم الطهطاوي (ط::01 دار الفضيلة) (ص:3-8).

الفلاح، ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر قطعًا بل لا يحصل الخشوع قط إلا مع الطمأنينة وكلما زاد طمأنينة ازداد خشوعًا وكلما قل خشوعه اشتدت عجلته حتى تصير حركة يديه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع ولا إقبال على العبودية ولا معرفة حقيقية العبودية والله سبحانه قد قال: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: 43] وقال: {وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} [المائدة: 55] وقال: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} [العنكبوت: 45] وقال: {فَإِذَا اطْمَأَنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [النساء: 103] وقال: {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} [النساء: 162] وقال إبراهيم عليه السلام {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ} [إبراهيم: 40] وقال لموسى عليه السلام {فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14].

فلن تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقرونًا بإقامتها فالمصلون في الناس قليل، ومقيم الصلاة منهم أقل القليل، كما قال عمر رضي الله عنه: «الحاج قليل، والركب كثير».واعلم أخي المسلم أن الخشوع هو روح الصلاة وحياتها ونورها , وبه تصعد إلى الملا الأعلى ,وترفرف في السماوات العُلا .والخشوع له معان عديدة ذكرها السلف رضوان الله عليهم ,منها : انه قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذُّل , وهو انكسار القلب واخباته وتواضعه لله وذلّته وسكون الجوارح أمام خالقها , وخمود نيران الشهوة ,وإشراق نور التعظيم لله في القلب , ولخّصه بعضهم فقال :هو معنى يلتئم من التعظيم لله والمحبة والذُّل والانكسار له[1] وقد ذكر الله الخشوع في أول ما ذكر صفات عباده المؤمنين المصلّين ,فقال تعالى : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون: 1,2] ووصف أهل الصلاة بقوله : {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}[البقرة: 45] ولقد فرّط كثير من المصلّين في هذا الأمر الخطير لشان ,فتجد المرء يصلى ,وقلبه متعلّق بالدنيا وشئونها وأحوالها ,دائم التفكير بأمرها في صلاته ,يهيم قلبه في رجائها ,فيحضر بدنه ولسانه ,ويغيب قلبه وفكره عن الله , وهذا ما تنبأ به الصحابيُّ الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سرّ رسول الله صلى الله عيله وسلم حيث قال "أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ,وربَّ مصلّ لا خير فيه , ويوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيهم خاشعاً "[2]. ولقد اخبر النبيُّ أن المرء لا يكتب له صلاته إلا بالقدر الذي حضر فيه

---

[1] انظر :في معنى الخشوع تفصيلا في (مدارج السالكين)لابن القيم 1/521-523)

[2] صحيح :رواه ابن ابي شيبة في (المصنف) (3488) ,وابو عمرو الداني في (السنن) (534/3) , وابن ابي عاصم في (الزهد الكبير) ص 179 والحاكم (469/4) , وصححه واقره الذهبي.

قلبه وفكره , فعن عمّار بن ياسر رضي الله عنهما قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"أن العبد ليصلّى فينصرف وما كُتب له من صلاته إلا عُشرها , أو تُسعها أو ثُمنها , أو سبعها حتى انتهى إلى أخر العدد"[1] فإقبال المسلم على الله بقلبه شرط مهم اخبر عنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال : "ما من مسلم يتوضأ فيُحسن الوضوء , ثم يقوم فيصلّى ركعتين مُقْبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة " [2]وقد يبلغ الرجل من الكبَر مَبْلَغه , وما تكْمُلُ له صلاة صلّاها , وذلك لأنه لم يُحقق الخُشوع الواجب فيها ,وفي ذلك يقول عمر رضي الله عنه "أنا الرجل لتشيب عارضاه[3] في الإسلام , وما أكمل الله له صلاة , قيل :لا يتمُّ خشوعها ولا تواضعها , ولا إقباله على اللم فيها"[4] .وقد يظنُّ كثير من المسلمين أن الرجل إذا ظهر في وجهه علامة السجود انه من الخاشعين ,وقد يذكر بعضهم قوله تعالى: { سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ }[الفتح: 29] .مستدلا على ذلك ,واليهم أسوق هذا الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم "تفسيره" عن منصور ,عن مجاهد بن جَبْر ــ وهو من أئمة التابعين ممن تلقّوا التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ بعد ا نقرا هذه الآية السابقة **قال مجاهد** :اثر السجود هو الخشوع . **قال منصور** :أليس هو الأثر الذي في الوجه ؟ **فقال مجاهد** :ربما كان هذا الأثر بين عيني من هو أقسى قلبًا من فرعون . وانه ليكونُ بين عينيه مثل ركبة العنز وهو كما شاء الله [5].

و سمع القاضي أبو يوسف وهو أقوى تلاميذ الإمام أبي حنيفة أن شابا يدعى حاتما الأصم يتحدث في المسجد عن الزهد فقال لتلاميذه : هلموا بنا نذهب إليه فنسأله ، فإن أجابنا جلسنا إليه نستمع.

فلما دخل المسجد سأله: يا شاب أخبرني عن الصلاة ؟ فرد حاتم الأصم وقال: أتسألني عن آدابها أم عن كيفيتها ؟

---

[1] صحيح :رواه ابو داود (796) ,والنسائى في (الكبرى) (11/1) وابن حبان (1779_احسان) , واحمد (321/4) , وابو يعلى في (مسنده)(189/3) باسناد صحيح

[2] صحيح :رواه مسلم (234/17) , واحمد (145/4) , والنسائي (95/1) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

[3] عارضاه:صفحتا خدّيه ,كذا في (المصباح المنير) (404/2)

[4] ذكره عبد الحق الاشبيلي في (الصلاة والتهجد) ص182

[5] الاثر ثابت رواه الطبرى في (تفسيره) (110/26) , والبيهقى (السنن الكبرى) (287/2) واللفظ لابن ابى حاتم كما في (فتح البارى)(582/8) , **وانظر:** (الدرالمنثور) (542/7)

فتعجب القاضي و قال في نفسه: عجبا ، سألناه سؤالا ، فجعله اثنين. ثم قال لحاتم : أخبرني عن آدابها ،فقال حاتم : آدابها أن تقوم بالأمر و تمشي بالاحتساب و تدخل بالنية وتكبر بالتعظيم و تقرأ بالترتيل و تركع بالخشوع و تسجد بالخضوع و تتشهد بالإخلاص و تسلم بالرحمة.

فقال القاضي أبو يوسف: فأخبرني عن كيفيتها. قال حاتم: تجعل الكعبة بين حاجبيك والميزان نصب عينيك و الصراط تحت قدميك والجنة عن يمينك و النار عن شمالك وملك الموت خلفك يطلبك و لا تدري بعد ذلك أقبلت صلاتك أم ردت عليك.

فسأله القاضي : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ فرد حاتم : منذ عشرين سنة. فالتفت القاضي أبو يوسف لأصحابه و قال هلموا بنا نقضي صلاة خمسين سنة مضت.

اللهم أجعلنا ممن يقيمون الصلاة بآدابها وكيفيتها.

أذكار الصلاة و ما يحضر قائلها من خشوع[1]:

إن موضوع الصلاة لمن تدبر معناها: إقامة، وظيفة، خدمة لملك جليل مطاع، منعم على خلقه و صوره من النعم بعدة أنواع، فيجدد العهد به في أوقات معهودة ليستديم إدرار نعمه عليه إذ الأغلب من صفات البشر الغفلة لما جبلوا عليه من الحرص و الشهوة،لوجود التلون فيهم و الانتقال من حال إلى حال بحسب ما أقيم فيهم من الاختلاف في تركيب الأمزجة و الطبائع على المصنوع بقهر الصنائع، فمن مقبل إلى الله بقلب منيب، و من معرض خائب بعيد من جنابه غير قريب.و جعل تلك الخدمة على نوعين: مؤقتة بزمن معين كالصلوات الخمس، و السنن الرواتب، و العيدين، و الاستسقاء, و غير مؤقتة كالنوافل.أما المؤقتة فسيأتي بيان الحكمة في تخصيصها بتلك الأوقات، و أما المطلقة فإنها مشروعة لوجوه:

احدها: رفع الدرجات، و تكفير السيئات، و تكثير الحسنات، و تكميل ما نقص من الفرائض، كما ورد في الحديث من رواية أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ص يقول: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد افلح و انجح و إن

[1] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 67).

فسدت فقد خاب و خسر فان انتقص من فريضته شيئا فان الرب عز و جل يقول:انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك"[1].

ثانيها: تلذذ بالمناجاة،و حصول في منزلة المباهاة، فيمن أقيم من الملائكة في تلك الحالات، و شكر للنعم المتجددة، و المواهب المتعددة، و عمارة للقلوب التي خلقت لذكر الله تعالى، و إحياء ما مات منها بتجديد العهد بخدمته، و تأكيد الوعد من العبد بتعظيم حرمته.

ثالثها: غيرة منه على عمره أن يخسر في رأس ماله، و هو حياته، و أنفة منه على نفسه أن تمضي أنفاسه في غير طاعة الله و خدمته.

رابعها: دوام مراعاته بحضوره بين يدي مالكه فلا يشتغل عنه بسواه.

خامسها: تسهيل عسر الموقف في الحشر و تخفيف الحساب في دار المآب ، بتكثير الثواب.

سادسها: محبة الله له كما ورد في الحديث: "لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فادا أحببته كنت له سمعا و بصرا"[2]، و قد تقرر أن محبة الله هي إنعامه عليه و معاملته له معاملة المحبوب بايلائه لنعمه، و صرفه عنه أنواع نقمه، و ليس التقرب بالنوافل هي الصلوات فحسب و إنما هي الصلاة و ما كان من الأفعال يقتضي ثوابا، و دلك شعب الإيمان الذي هو بضع و سبعون شعبة، فان أصل النافلة الزيادة.

قال تعالى: { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ }[الأنبياء: 72].

فكان المعنى لا يزال يتقرب إلى الزيادة في طاعته لي من الصلاة و غيرها، و الله اعلم.

الوقوف في الصلاة يكون بين يدي الله[3]:

فمن اصطفاه الله تعالى و اجتباه، تولاه بحنانه و عطفه فأقامه في أكثر أوقاته متبتلا لخدمته، متوسلا له بطاعته، و جعل نصيبه من قيامه بين يديه بصلاته موفورا، و قلبه بخشية منه معمورا، فادا وقف مصليا بين يديه، مثل بين عينيه كأنه وقف بين يدي ملك جليل مهيب، يرجى ثوابه، و يخشى عقابه، لا تؤمن سطوته، و لا تنفد نعمته، له الجود الممدود، و المجد الموجود، فليلزم الأدب عند إقباله عليه و يقبل بقلبه على مواجهته بوجهه، فانه في حضرته، و لأجل ذلك قال

---

[1] (صحيح) أخرجه أبو داود(864)، و الترمذي (413).

[2] (صحيح) سبق تخريجه.

[3] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة،مرجع سابق (ص: 69).

ص: "إذا صلى أحدكم فلا يبصق و لا يلتفت فان الله تعالى قبل و جهه"[1]، كما قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[البقرة: 115]: أي شهود وجوده علما في الصدور كما قال تعالى: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الحديد: 4]، فليدم على هده الحالة حتى يقضي ما عليه من وظيفة تلك الخدمة،فليأخذ قبل الشروع فيها تطهير باطنه و ظاهره. أما باطنه فبالفراغ من شواغل الدنيا و قواطعها قبل الدخول فيها بجمع همه، و إقباله على صلاته، كما اخبر ص بقوله: "إن في الصلاة لشغلا"[2]، و كما قال (عليه الصلاة و السلام): "يكتب للمرء من صلاته ما عقل منها"[3].

و أما ظاهره فبما أمر به من استكمال اعم الأشياء نفعا، و أسهلها وجودا، و ألطفها سراية في إزالة المستقذرات، و أتمها نفوذا في إبعاد الفضلات، من استعمال الماء في الثوب و البدن و أمكنة الصلاة، فادا احكم ذلك من أمره فليمش إلى مساجد الجماعات، ليكون قاصدا إلى إجابة الداعي، بتجشمه بما يجد من المشقة في الحر و البرد، مقبلا بصحيح عزمته،لطلب فضل الله و رحمته في إقامة عبادته، بصلاته في مكان شريف، مطهر موضوع لتلك العبادة.

---

[1] (صحيح) سبق تخريجه.

[2] (متفق عليه) أخرجه البخاري (1199)، و مسلم (538).

[3] سبق تخريجه.

3-2 : مقاصد الصلاة:

3-2-1 : الحكم المتعلقة بالصلوات:

الحكمة من فرض الصلوات الخمسة:[1]

الحكمة من فرض الصلوات, و تخصيصها بالخمس فيها وجهان:

احدهما: أن الأنفس البشرية المقتضية للشهوة و الغفلة و السهو و النسيان و الشر في العمل و الفترة عنه فاقتضت الحكمة أن تذكر نسيانها و توقظ غفلتها, و تقمع شهوتها بقطعها عن عادتها, و مناجاتها لمولاها الذي كفلها بنعمه, و غذاؤها بجوده, و كرمه, و لعلمه بضعف قواها لم يجعل هذه العبادة إلا في أوقات يكثر الفراغ فيها من اشتغال العادات و هذا هو الحكمة في تنقيصها من الخمسين إلى الخمس رأفة بهم, و رحمة لهم.

و الوجه الثاني: أن العبد في هذه الدار يعمل لنجاته في الدار الأخرى, و هي مشتملة على أهوال و مشاق و متاعب, و أمام العبد دونها خمس عقبات:

الأولى:الدنيا, و شرورها, و آفاتها, و محذوراتها و شواغلها و علائقها القاطعة عن مزيد السعادة.

الثانية: الموت, و ما يخشى من فتنته, و شدة سكراته, و ما يشاهد عنده من الأمور العظام, و الآلام الجسام.

الثالثة:القبر و ضيقته ووحشته, و سؤال منكر و نكير, و ذلك صعب خطير.

---

[1] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 34).

الرابعة: المحشر و هوله, و ما فيه من الخوف الشديد, و الجزع الأكيد.
الخامسة: الحساب, و ما يخشى فيه بعد العتاب من وقوع العقاب, فكان فعل الصلوات الخمس مسهلا لهذه العقبات, محصلا لنيل المسرات في دار الكرامات.
فجعل الله هذه الصلوات, في هذه الأوقات, تمحيصا للسيئات, و كفارات للخطيئات, و رفعة للدرجات, و جمع لهذه الأمة ما تفرق للأنبياء عليهم الصلاة و السلام قبلهم من الكرامات, فناهيك من شرف تخصصت به الأمة المحمدية في الارضين و السموات.

الصّلَواتُ الخمسُ ليست كثيرة[1]:

الصلوات الخمس في الإسلام لا تستغرق مع الوضوء أكثر من نصف ساعة إذا قورنت بالساعات الطويلة التي يمضيها الإنسان في العمل والراحة والنوم , ومثله في العمل , وساعتين في شراء الطعام وإعداده وتناوله ويبقى بعد ذلك كله ست ساعات يهدرونها في اللهو والبرئ أو الفاجر أو في ممارسة بعض الهوايات الخاصة فهل إذا سلخ الإنسان من هذه الساعات الست نصف ساعة أو أكثر للعبادة والقيام بواجبه نحو ربه يكون قد قام بعمل كثير مرهق ؟

وإذا تبصّر الإنسان في حقيقة العبادة في الإسلام يجد أنها ليست أعمالا شاقة ولا مرهقة بل هي صلة بين العبد والمعبود يعود نفعها وفائدتها لمقيمي هذه الصلة: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى }[الأعلى: 14-15] . فالصلاة بجانب أنها عملية خضوع وشكر وتقديس لله هي أيضا عملية تأمل في النفس والكون .فهي تأمل في النفس ومحاسبتها علة أعمالها لدفعها نحو الطريق المستقيم , وهي أيضا تأمل في الكون واستشعار ما فيه من آيات وروعة دالة على وجود الله وقدرته وفي ذلك ما فيه من لذة وفائدة .والصلاة هي أيضا عملية استلهام واستمداد روحي يتزود بها الإنسان زاد من الإيمان والصبر والحكمة ليتغلب على ما يصادفه من هموم وقلق تؤثر على صحته وعقله ونفسيته .

[1] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام، مرجع سابق (ص:114).

وأخيرا نقول إن الصلاة :علاوة على ذلك جميعاً فيها من اللذة ما لا حدّ له للذين يدركون حقيقتها ومعناها , لذة تنشأ من مناجاة رب العالمين مصدر الخير والرحمة والجمال , وقد صدق احد العارفين بالله الذي أدرك لذة العبادة فقال :"نحن في لذة لو عرف بها الملوك لقاتلونا عليها " . وإذا أدرك الإنسان لذة العبادة جعل كل أوقات فراغه مخصصة لها , ولهذا فالإسلام فتح الطريق للاستزادة من العبادة للراغبين فيها وذلك بما سنّه الرسول من الصلوات أخرى غير الصلوات المفروضة , وهذا ما سنفصله فيما بعد.[1]

الحكم من الصلوات الخمس:

1 – صلاة الصبح[2]: الحكمة من طول القراءة في الصبح و الجهر فيها و اختصاصها بركعتين: أن المصلي لها ينتقل من نوم طويل و غفلة كبيرة فكانت القراءة طويلة تتكرر على السمع و تستقر في الدهن فيترقى فهمه للتلاوة و يكثر تدبره لما يسمع منها.و أما الجهر، فلان اللسان قدسكن عند النوم و الفكرة قد اتصلت بما كان عليها مستوليا، و لذلك أمر بالذكر و القراءة عند النوم، و خصت هذه الصلاة بالجهر ليكون السر تابعا للجهر و الجهر شاغلا عن الفكر ناقلا عن السكون إلى الحركة، و لان الأفعال المحسوسة تدرك، إما بالسمع أو بالبصر و البصر يتعلق بالنهار و السمع بالليل و هي بصلاة الليل أشبه لاتصالها بآخره، فاقتضت الحكمة أن يكون لحكمه تابعة.

و أما اختصاصها بركعتين فلأنه لما سبق الوتر لصلاة الليل و حصل ختم الصلاة به كالطابع عليه وقع البداية بالشفع و هو مثلا الوتر ليقع الختم بالوتر لصلاة النهار بالمغرب فجعل الشارع للصلوات الخمس وترين، المغرب لصلاة النهار و الوتر لصلاة الليل، فقد خرج النسائي من حديث ابن عمر (رضي الله عنه) عن النبي ص قال: "صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل"[3].

---

[1] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام، مرجع سابق (ص:115).

[2] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 105).

[3] (صحيح) أخرجه النسائي في الكبرى (586/1).

2 – صلاة الظهر[1]:

و أما الظهر فإنها أول صلاة ظهرت فسميت بذلك، أو لأنها ظهر بفعلها جبريل (عليه السلام) للنبي ص، أو لأنها تفعل وقت الظهيرة، و هي شدة الحر و ظهوره فكانت سرا لان النهار يقتضي الحركة و البطش، و النفس فيه متيقظة ساعية في طلب معاشها، فأمرت أن تصرف بعض ما هي فيه من يقظتها إلى سرها و تعميره بالتلاوة و التدبر و حصر الحركات على هيئة واحدة في المناجاة، و اختصت بالحصر بأربع ليتعرف الناظر مراتب الأعداد من ذلك و يترقى إلى فهمها فان مراتب الأعداد أربع: الآحاد و العشرات و المئين و الألوف، و منشؤها من الواحد و الاثنين بناء على أن العدد في مصطلح الحساب ما هو و لأجل ذلك اقسم الله بالشفع و الوتر في كتابه العزيز ليتدبر المعترف بنعمه، فقد جمعت الصلوات الخمس مراتب الأعداد ليتوفى كل واحد من المراتب حقه، و كانت القراءة فيها طويلة لأنها تقام في وقت الاشتغال بطلب المعايش و الألفة لها فطولت القراءة فيها حتى يحصل التفكير لما مضى و الأسف على ما فات من البطالة و الاشتغال بغير ذكر الله تعالى، و لان المشركين بمكة كانوا يسبون القران عند سماعه فكانت الظهر و العصر سرا حتى لا يسمع المشركون ما يتلى فيهما و النهار هو مظنة اجتماعهم.

3 – صلاة العصر[2]:

و أما صلاة العصر فكانت القراءة فيها اقل من الظهر لقرب العهد بالصلاة فيما بين الوقتين، و اختلف في سنتها، فقيل: ليس لها سنة، و قيل: بل سنتها أربع قبلها ليتنبه فيها من الغفلة السابقة و يحضر في صلاته.

4 – صلاة المغرب[3]:

و أما المغرب فكانت ثلاثا و القراءة فيها قصيرة و بعضها سر و بعضها جهر، لأنها أما وتر فرض الخمس أو وتر الصلاة النهارية و الأولى أنها وتر المجموع من فرض الليل و النهار و لأجل ذلك كانت في الوسط حتى توتر السابق و اللاحق و جمع فيها بين السر و الجهر حتى تضرب مع كل منها بنصيب، و افتتحت بالجهر شعارا و دلالة على دخول الليل، و ختمت السر ليقع الوتر لما تقدم من فرض النهار بنوعه.

---

[1] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 106).

[2] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 107).

[3] المرجع نفسه.

5 – صلاة العشاء[1]:

و أما العشاء فكانت أربعا و القراءة فيها متوسطة و نصفها المتقدم جهرا و الأخر سرا لتكون من نوع صلاة النهار الرباعية في الليل، و يتميز الأول بالجهر للدلالة على أنها ليلية و السر فيها تبع و التابع فيها يتأخر عن المتبوع و الزمن لليل فكان الجهر اسبق.

صَلاة الجَماعَة[2]:

لا ريب في أن الجماعة الإنسانية هي وسيلة للتغيير الاجتماعي , وان الناس يكيّفون حياتهم في اتجاه معيار الجماعة , فهم يعدّلون آراءهم ومعتقداتهم تبعاً لما يقوله ويفعله الآخرون . ولأهمية الجماعة تقسم إلى ثلاثة أقسام :منها ما هو فرض عين وهو ما يثاب فاعله على فعله ويعاقب في الآخرة على تركه وهي صلاة الجمعة.ومنها ما هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين كصلاة الجنازة .ومنها سنة مؤكدة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها كصلاة العيدين وغيرها مما سنعرضه في الصفحات التالية وترمي صلاة الجماعة في الإسلام إلى فائدتين جليلتين :إحداهما نفسية والأخرى اجتماعية .

فَضيلَة صَلاَة الجَماعَة [3]:

صلاة الجماعة سنة مؤكدة , وتنعقد في الصلوات المفروضة بمصلٍ واحد مع الإمام , ويزداد فضلها كلما ازداد عدد المصلين , وقد ورد في فضل صلاة الجماعة أحاديث كثيرة عن رسول الله نذكر بعضها :روي عن عبد الله بن عمر قال :قال رسول الله :"صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة "[4].

الفَائدةُ النفسيَّة لصَلاَة الجَمَاعة [5]:

---

[1] المرجع نفسه (ص: 108).

[2] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام، مرجع سابق (ص:175).

[3] المرجع نفسه (ص:200).

[4] متفق عليه.

[5] المرجع نفسه (ص:176).

إن وجود الجماعة يسهل إتيان الصلاة أكثر مما لو كانت فرادى , وهذا الدافع يسمى في علم النفس ب "التيسير الاجتماعي " ويُقصد به زيادة سرعة النشاط وكميته نتيجة لرؤية الزملاء الذين يقومون بأوجه نشاط مماثلة . وقد أظهرت التجارب أن الناس يقومون بقدر من العمل _إذا كان في الحجرة ذاتها أناس يقومون بنفس العمل _ اكبر مما لو كانوا بمفردهم. والصلاة من أهم أهدافها "الإيحاء" للإنسان بالصفات الخيّرة , وهناك عوامل شتى توفر إمكانية الإيحاء في علم النفس وهي : العدد و التنوع والمكان , فاجتماع عدد من الناس ثم تنوعهم ما بين شيوخ وشباب من كل الفئات ثم وجودهم في بناء واحد ذي قدسية لا يرغم هؤلاء على الاحترام فحسب لكن يجعل معظم الناس يتأثرون سريعاً بالإيحاء. فصلاة الجماعة ,وخصوصا صلاة الجمعة والعيدين التي يجتمع فيها العدد الكثير من المصلين , والتي تحتوي كل صلاة منها على خطبة يلقيها احد العلماء يوحي فيها للمصلين بإتيان الصفات الخيّرة التي ترضي الخالق ويحذرهم من صفات السوء التي تغضبه , كل ذلك له اثر فعّال في شعور الإنسان _ابلغ وأعمق _ مما لو صلى منفرداً . وصلاة الجماعة وسيلة فعّالة في غرز الصفات الحسنة في الإنسان , فالإنسان _ كما يقول علم النفس _ فيه غريزة "المحاكاة " فنحن نحاول متعمدين أن نقتفي أثر أولئك الذين نعجب بهم , ففي كل نواحي الحياة يطمح الناس أن يكونوا نسخاً من الطرق الصحيحة في التفكير والعمل كما يمثلها بعض القادة وهكذا تكون صلاة الجماعة ميداناً يستفيد جاهلها من عالمها , وصغيرها من كبيرها .

وبالإضافة إلى ما ذُكر فان اجتماع المسلمين في المسجد راغبين في الله راجين رحمته من أسباب نزول البركات من الله .

الفائدَةُ الاجْتمَاعيَّة لصَلاة الجماعة [1]:

والصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين وإزالة الحقد والغل في قلوبهم , وهدم الفوارق الاجتماعية فيما بينهم , وتبادل المنافع فيما يعود عليهم من خير . فالمسلمون يقفون جميعاً في الصلاة جنباً إلى جنب متلاصقين , رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب , والغني يقف ملاصقاً للفقير , وأبيض البشرة إلى جانب أسودها , كل هؤلاء يتقرّبون إلى الله بأموالهم وجاههم وإنما بطاعة ربهم , كلهم يخاطبون ربهم ويعترفون له بالعبودية , ويطلبون منه الهداية لبعضهم بعضاً

[1] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام، مرجع سابق (ص:177).

قائلين , "إياك نعبد وإياك نستعين " . إن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تطبّق عملياً في حياة المرء وفي تفكيره . وها نحن نرى بعض الأمم التي تدّعي أنها في مقدمة الأمم مدنية وحضارة , وتدعي الديمقراطية والحرية والمساواة , نرى ابرز ما يشغلها التمييز العنصري الذي يهدد كيانها ويهددها بأخطر العواقب التي تؤدي بحضارتها , وليس بعيداً ما جرى منذ أمد قريب في أمريكا حيث احرق الزنوج كثيراً من المساكن والمخازن في مدينة " ديترويت" وغيرها من المدن , وأحدثوا فيها خسائر مادية تقدّر بمئات الملايين من الدولارات , كل ذلك سبب التمييز العنصري الذي لم توفق المدنية والحضارة الحديثة من انتزاعه من قلوب من يدّعي التمدن والحضارة . وقد كان التشريع الإسلامي موفقاً في جعله " الصلاة جماعة " التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون , فوحّدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان , ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة , وقد نوّه بفضلها وجليل اعتبارها كثير من الباحثين من ذلك ما قاله الدكتور فيليب حتّ أستاذ الآداب السامية بجامعة برنستون بأمريكا في كلامه عن صلاة الجمعة وتأثيرها على المجتمع العربي :"وهذه الصلاة الجامعة في وقارها وبساطتها لا يفوقها أي نوع من أنواع العبادات الجامعة , إذ يقف المصلون معتدلي القامة في صفوف يسودها النظام في المسجد ويتبعون زعامة الإمام بكا دقة واحترام . ولعمري إن منظرهم ليكون دائماً بالغ الأثر في النفس . وهذه الصلاة الجامعة كوسيلة للنظام لا بد وإنها كانت ذات أثر عظيم في نفوس أبناء الصحراء المعتزين بأنفسهم المتكبرين . لقد رقت في نفوسهم الشعور بالمساواة الاجتماعية والإدراك لفكرة المصالح المشتركة وتوحيدها . ولقد ساعدت أيضا على تقوية الإخوة في مجتمع المؤمنين التي أحلها دين محمد نظرياً محل روابط الدم وهكذا أصبحت ارض الصلاة هي الأرض الأولى للتدريب في الإسلام" [1].

[1] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام، مرجع سابق (ص:178).

الحكم المتعلقة ببعض الصلوات:

أولا: صلاة الجمعة[1]:

أما صلاة الجمعة فاختصت بالجهر و ركعتين لتباين ظهر كل يوم في العدد و في صفة القراءة، و لما كان الخلق لاستيلاء الغفلة عليهم لابد لهم من مذكر جعل التذكير في كل أسبوع و اشترط في دلك العدد ليتذكر من حضر هول المحشر، و اجتماع الخلق فيه لفصل القضاء، فكان ذلك جامعا لأهل البلدة الواحدة و ما قرب منها، و كانت القراءة جهرا لان القصد بدلك الوعظ فحصل بالخطبة، و سماع القران، و تقدمت الخطبة ليتوطا دهن المستمع لها لاستماع كلام الله في الصلاة بخشوع و حضور قلب.

ثانيا: صلاة الاستسقاء[2]:

و أما صلاة الاستسقاء فللتضرع و الخضوع للمعبود في كشف ما نزل من الضر أو حصل من الأسر، و قد نبه الله على ذلك بقوله تعالى: { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[الأنعام: 43]، فهي طلب السقيا بالتذلل طمعا في فضل الله و رحمته.

ثالثا: صلاة الجنازة[3]:

---

[1] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 110).

[2] المرجع نفسه (ص: 113).

[3] المرجع نفسه.

و أما صلاة الجنازة فشفاعة في الميت، و ثناء على المعبود، و تذكرا للموت، و تأهبا لنزوله. و انما اسقط منها الركوع و السجود لأنها خصصت بالشفاعة إلى الله و الدعاء للميت و هو المقصود الأعظم منها و لو وقع فيها ركوع و سجود لأشبهت ما يقصد به التقرب لله وحده من الصلوات و لتوهم من لا تعقل له أن الفعل للميت المواجه به، و قد كان (عليه الصلاة و السلام) ينهاهم عن السجود للأحياء فما ظنك بالأموات فاندفع هذا الوهم، و جعل الشارع فيها وجود القيام محصلا للمرام من التضرع لخالق الأنام مستجلبا للرحمة منه على من يخشى عليه من سئ عمله قيام الانتقام.

3-2-2 : ثمرات الصلاة:[1]

القربات و إن تعدد نوعها, و اتحد حسنها, فان حاصلها يؤول إلى استعطاف الملك الجليل و إقباله – عز و جل – على عبده بإنالة العطاء الجزيل, و إزالة التعرض له باعتراض المخالفة إلى الإلقاء في العذاب الوبيل, و لكل عبادة ثمرة منها تجنى, و نتيجة عليها تنشا و منها تبنى, فمن تدبر معاني القربات, ظفر في عمله بأرفع الدرجات.و لما كان القصد منا إلى مقاصد ذكرنا ما يتعلق بها من الثمرات: فلها ثمرات عاجلة في الدنيا, و آجلة في الآخرة, فدلك نوعان:

النوع الأول: الثمرات العاجلة[2]:

الأولى: حقن الدم عن سفكه بفعلها، و اختلف العلماء في قتل تارك الصلاة كما سبق الذكر.

الثاني: شرفه بطاعة مولاه، و امتثال أمره بإجابة ندائه بقرع بابه لما دعاه.

الثالثة: أمنه من الله و إدخاله في خفارته، و قد ورد حديث الحسن عن جندب بن سفيان (رضي الله عنه) عن النبي ص قال : "من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في ذمته".[3]

الرابعة: اتخاذ العهد عند الله كما ورد في حديث عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ص يقول: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع شيئا منهن

---

[1] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 38).

[2] المرجع نفسه.

[3] أخرجه مسلم (164/5).

استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة, و من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه و إن شاء ادخله الجنة".[1]

الخامسة: بسط الرزق و سعته كما قال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ} [طه: 132]. قال ابن كثير : "يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب".

السادسة: انتهاؤه بفعلها عن الفحشاء و المنكر كما قال تعالى: { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت45] . و معنى الآية من حيث الظاهر: إن الصلاة الكاملة هي التي بهده الصفة كقوله (عليه الصلاة و السلام): "لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن"[2] أي كامل الإيمان , و يحتمل أن يريد نفس فعل الصلاة عند قيام الداعي إلى فعلها ينهى عن ذلك لأنه مثار الداعي من الخوف و الخشية و مهما وجدا نهيا عن المخالفة.

السابعة: التطهير من الخطايا بفعلهن لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه)[3] .

الثامنة: المشاركة لأهل الجنة في خصال خصهم الله بها في الجنة و هي سبعة:

1. أهل الجنان في ضيافة الرحمان، و المصلي كذلك لحديث ورد عنه (عليه الصلاة و السلام) قال: "من دخل المسجد لا يدخله إلا لله فهو ضيف الله عز و جل"[4]، و كان علي ابن الحسين (رضي الله عنه)يقول إذا دخل المسجد: "الهي عبدك ببابك،ضيفك ببابك،سائلك ببابك".
2. أن لأهل الجنة الرضوان من الملك الديان لقوله تعالى: { وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[التوبة72]، و قال (عليه الصلاة و السلام): "أول الوقت رضوان الله"[5].
3. أن لأهل الجنة المغفرة، و كذلك المصلي نقل عن علي (رضي الله عنه) في قوله تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ }[ال عمران 133]. قال : "هو الصف الأول".

---

[1] أخرجه أبو داود (1420).

[2] متفق عليه و هو جزء من حديث طويل اخرجه البخاري (2475،5578,6772,6810), و مسلم (100,105).

[3] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة(ص: 42).

[4] أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصفهان(266/2).

[5] أخرجه الترمذي (172).

4. أن لأهل الجنة مناجاة الله و المصلي يناجي ربه كما ورد في الحديث: "فليعلم من يناجي".[1]

5. أن لأهل الجنة يسلم الله عليهم بقوله: { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[الزمر73]،

و كما في قوله تعالى: { تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا }[الاحزاب44]، و المصلي يسلم عليه بقوله: "السلام علينا و على عباد الله الصالحين"[2]، و يختم الصلاة بالتسليم و يقول قبل أن يتكلم ما كان رسول الله ص يقوله: "اللهم أنت السلام ، و منك السلام، تباركت يا ذا الجلال و الإكرام"[3].

6. القرب من الله في الجنة، و المصلي كذلك لقوله تعالى: { كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ }[العلق 19]، و لقوله (عليه الصلاة و السلام): "اقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد"[4] . و القرب من الله، هو قرب الانبساط ليس بقرب البساط، قال الله تعالى: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }[ق 16].

7.أن مفتتح أهل الجنة الحمد و ختامهم كذلك كما اخبر الله عنهم بقوله: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }[الزمر 75]، ثم قال : {...و أخر دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[يونس 10]، و المصلي يفتتح كل ركعة بالحمد، و هده الجملة من نعم الله التي تفضل بها في هذه الدار على من أقام الصلوات بحدودها، و أدام الرغبات بين يديه، و راعى جميل مقصودها، فهده جملة شارك المصلي فيها أهل الجنة[5].

---

[1](صحيح) أخرجه أبو داود (1332) من حديث أبي سعيد.

[2](متفق عليه) أخرجه البخاري (831)، و مسلم (402).

[3] (صحيح) أخرجه مسلم (592).

[4] (صحيح) أخرجه مسلم (482).

[5] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 45).

التاسعة: التنعم بمحادثة الله و مكالمته، فهو يتنعم بالتلاوة في الصلاة كما يتنعم أهل الجنة بكلام الله، فقد ورد في الحديث: "ما منكم من احد إلا سيكلمه الله يوم القيامة كفاحا ليس بينه و بينه ترجمان"[1].

العاشرة: شغل النفس عن تفرغها في استيلاء الفكر عليها بغلبة سلطان الهوى على العقل و ضربها بسوط الخوف من القيام بين يدي الله تعالى على مثل تلك الحالة من الذلة و الخضوع و ألاهية و المسكنة بتعفير الوجه حتى تجيب إلى ما أراده منها من ملازمة الأدب في الخدمة، و تنشيط ما فتر منها من العزمة، فتتمرن على ذلك و لا تتكلف فعله عند المطالبة لها بالإقدام عليه[2].

الحادية عشر: و قال ابن مسعود – رضي الله عنه – سالت النبي ص أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : "الصلاة على وقتها"[3].و ذكر الناس الصلاة يوما فقال – عليه الصلاة و السلام – : "من حافظ عليها كانت له نورا و برهانا و نجاة يوم القيامة، و من لم يحافظ عليها لم تكن له نورا و لا برهانا و لا نجاة، و كان يوم القيامة مع قارون و فرعون و هامان و أبي ابن خلف"[4].

قال ابن القيم الجوزية: في هدا الحديث نكتة بلاغية، و معجزة نبوية تدل على كرامة رسولنا محمد ص فتارك الصلاة إما يشغله عنها ماله، أو ملكه، أو رياسته أو تجارته.

فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون الذي خسف الله به و بداره الأرض.

و من شغله عنها ملكه فهو مع فرعون الذي أخذه الله نكال الآخرة و الأولى.

و من شغله عنها رياسته فهو مع هامان.

و من شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف.

النوع الثاني: الثمرات الآجلة[5]:

الأولى: اختصاصهم بباب من أبواب الجنة يدخلون منه قد أعده الله للمصلين.

الثانية: أن النار لا تأكل موضع السجود كرامة له.

---

[1] (متفق عليه) أخرجه البخاري (6539)، و مسلم (1016).

[2] المرجع نفسه .

[3] متفق عليه.

[4] أخرجه احمد.

[5] قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، مرجع سابق (ص: 46).

الثالثة: التمكن من السجود يوم العرض في قوله تعالى كما اخبر عن الكفار: { يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ }[القلم: 42]. و المعنى: انه سال منهم السجود في الآخرة و هو بالصلاة فتكبروا و أبوا عن الإجابة للداعي في الدنيا،فسال منهم السجود في الآخرة فأجابوا فمنعوا من فعله عقوبة لهم في الآخرة على التكبر في الدنيا بعدم الإجابة كما قال الله تعالى: { خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ }[القلم: 43]، يعني فيأبون مع السلامة و التمكن من الفعل، فعند معاينة العطب و الأهوال أجابوا فما مكنوا، و من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال : سمعت النبي ص يقول : "يكشف ربنا عن ساقه فبسجد له كل مؤمن و مؤمنة و يبقى من كان يسجد في الدنيا رياء و سمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا"[1].

الرابعة: مضاعفة الخمس بالخمسين وفاء بوعد الله للعباد حين فرض عليهم الصلوات، فقال لرسوله محمد (عليه الصلاة و السلام) بعد مراجعته له ليلة الإسراء : "قد أمضيت فريضتي و خففت عن عبادي هي خمس و هن خمسون"[2].

الخامسة: الشفاعة في النجاة من عذاب القبر و عذاب النار ابتداء، و الخروج من النار انتهاء. روى ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) انه قال : "إذا حضرت الصلاة قالت الملائكة يابني ادم قوموا فأطفئوا نيرانكم التي أوقدتم"[3]، و قد ورد أن الصلاة تنفع و تدفع عنه العذاب، وأنها تحول بينه و بين لهب النار.

السادسة: رفعة الدرجات في الجنة.

السابعة: وراثة الفردوس من الجنة كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله: { أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[المؤمنون: 10،11].

الثامنة: الأمن من الفزع الأكبر.

التاسعة: نور الوجه علامة لهم في الجنة على شرفهم و رفعة درجتهم.

---

[1] (متفق عليه) أخرجه البخاري (4919)، و مسلم (183).

[2] (متفق عليه) أخرجه البخاري (3887)، و مسلم (162).

[3] تهذيب الكمال (709/2).

فائدَة الصَّلاة الصّحيَّة[1]:

إن ابرز ما تشمل عليه الصلاة هي الركوع والسجود , وقد سألنا الدكتور مصطفى الحفار الاخصائ في أمراض الجهاز الهضمي وعضو المجلس الوطني اللبناني للبحوث العلمية , والأستاذ بكلية الطب الفرنسية عن فوائد الركوع والسجود في الصلاة فقال : إن الركوع يفيد في تقوية عضلات جدار البطن , ثم انه يساعد المعدة على تقلصها ومن ثم قيامها بوظيفتها الهضمية .كذلك الأمعاء يسهل أن تدفع بالفضلات الهضمية بصورة طبيعية . وأما السجود فيدفع بالهواء من جوف المعدة إلى الفم فيريحها من وطأة التمدد وما ينتج عنه من مضايقات هضمية وانعكاسات قلبية .والسجود وهو يعرف ب (الوضع الركبي) , وينصح به الأطباء لمعالجة التحقن في أسفل البطن عند المرأة الناجم عن التواء خلفي في بيت الرحم . ويقول الدكتور فارس عازوري الأخصائي في الأمراض العصبية والمفاصل من جامعات أمريكا :إن الصلاة عند المسلمين وما تحتويه من الركوع والسجود تقوي عضلات الظهر وتلين تحركات فقرات السلسلة الظهرية , وخصوصاً إذا قام الإنسان بالصلاة في سن مبكرة , ويترتب على ذلك مناعة ضد الأمراض التي تنتج عن ضعف في العضلات التي تجاور العمود الفقري والتي ينشأ من ضعفها أنواع من أمراض العصبي تسبب الآلام الشديدة والتشنج في العضلات .هذا وقد قام احدث بعض العلماء تمارين لتقوية عضلات أسفل الظهر تشبه حركات الصلاة في بعض صورها .

ضبط إيقاع الجسم :

[1] عفيف عبد الفتاح طباره،روح الصلاة في الإسلام، مرجع سابق (ص:137).

أظهرت البحوث العلمية الحديثة أن مواقيت صلاة المسلمين تتوافق تماما مع أوقات النشاط الفسيولوجي للجسم، مما يجعلها وكأنها هي القائد الذي يضبط إيقاع عمل الجسم كله وقد جاء في كتاب " الاستشفاء بالصلاة للدكتور " زهير رابح: " إن الكورتيزون الذي هو هرمون النشاط في جسم الإنسان يبدأ في الازدياد وبحدة مع دخول وقت صلاة الفجر، ويتلازم معه ارتفاع منسوب ضغط الدم، ولهذا يشعر الإنسان بنشاط كبير بعد صلاة الفجر بين السادسة والتاسعة صباحا، لذا نجد هذا الوقت بعد الصلاة هو وقت الجد والتشمير للعمل وكسب الرزق، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد: " اللهم بارك لأمتي في بكورها"، كذلك تكون في هذا الوقت أعلى نسبة لغاز الأوزون في الجو، ولهذا الغاز تأثير منشط للجهاز العصبي وللأعمال الذهنية والعضلية، ونجد العكس من ذلك عند وقت الضحى، فيقل إفراز الكورتيزون ويصل لحده الأدنى، فيشعر الإنسان بالإرهاق مع ضغط العمل ويكون في حاجة إلى راحة، ويكون هذا بالتقريب بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر، وهنا يدخل وقت صلاة الظهر فتؤدي دورها كأحسن ما يكون من بث الهدوء والسكينة في القلب والجسد المتعبين .

بعدها يسعى المسلم إلى طلب ساعة من النوم تريحه وتجدد نشاطه، وذلك بعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر، وهو ما نسميه "القيلولة" وقد قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجة عن ابن عباس " استعينوا بطعام السحر على الصيام، وبالقيلولة على قيام الليل" وقال صلى الله عليه وسلم: " أقيلوا فإن الشياطين لا تقيل " وقد ثبت علميا أن جسم الإنسان يمر بشكل عام في هذه الفترة بصعوبة بالغة، حيث يرتفع معدل مادة كيميائية مخدرة يفرزها الجسم فتحرضه على النوم، ويكون هذا تقريبا بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر، فيكون الجسم في أقل حالات تركيزه ونشاطه، وإذا ما استغنى الإنسان عن نوم هذه الفترة فإن التوافق العضلي العصبي يتناقص كثيرا طوال هذا اليوم،

ثم تأتي صلاة العصر ليعاود الجسم بعدها نشاطه مرة أخرى ويرتفع معدل "الأدرينالين" في الدم، فيحدث نشاط ملموس في وظائف الجسم خاصة النشاط القلبي، ويكون هنا لصلاة العصر دور خطير في تهيئة الجسم والقلب بصفة خاصة لاستقبال هذا النشاط المفاجئ، والذي كثيرا ما يتسبب في متاعب خطيرة لمرضى القلب للتحول المفاجئ للقلب من الخمول إلى الحركة النشطة .

وهنا يتجلى لنا السر البديع في توصية مؤكدة في القرآن الكريم بالمحافظة على صلاة العصر حين

يقول تعالى {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الصلاة الوسطى هنا هي صلاة العصر، ومع الكشف الذي ذكرناه من ازدياد إفراز هرمون " الأدرينالين" في هذا الوقت يتضح لنا السر في التأكيد على أداء الصلاة الوسطى، فأداؤها مع ما يؤدي معها من سنن ينشط القلب تدريجيا، ويجعله يعمل بكفاءة أعلى بعد حالة من الخمول الشديد ودون مستوى الإرهاق، فتنصرف باقي أجهزة الجسم وحواسه إلى الاستغراق في الصلاة، فيسهل على القلب مع الهرمون تأمين إيقاعهما الطبيعي الذي يصل إلى أعلاه مع مرور الوقت .

ثم تأتي صلاة المغرب فيقل إفراز "الكورتيزون" ويبدأ نشاط الجسم في التناقص، وذلك مع التحول من الضوء إلى الظلام، وهو عكس ما يحدث في صلاة الصبح تماما، فيزداد إفراز مادة "الميلاتونين" المشجعة على الاسترخاء والنوم، فيحدث تكاسل للجسم وتكون الصلاة بمثابة محطة انتقالية .

وتأتي صلاة العشاء لتكون هي المحطة الأخيرة في مسار اليوم، والتي ينتقل فيها الجسم من حالة النشاط والحركة إلى حالة الرغبة التامة في النوم مع شيوع الظلام وزيادة إفراز "الميلاتونين"، لذا يستحب للمسلمين أن يؤخروا صلاة العشاء إلى قبيل النوم للانتهاء من كل ما يشغلهم، ويكون النوم بعدها مباشرة، وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل لما تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العشاء في أحد الأيام وظن الناس أنه صلى ولن يخرج" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعتموا بهذه الصلاة ـ أي أخروها إلى العتمة ـ فقد فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم "

ولا ننسى أن لإفراز الميلاتونين بانتظام صلة وثيقة بالنضوج العقلي والجنسي للإنسان، ويكون هذا الانتظام باتباع الجسم لبرنامج ونظام حياة ثابت، و لذا نجد أن الالتزام بأداء الصلوات في أوقاتها هو أدق أسلوب يضمن للإنسان توافقا كاملا مع أنشطته اليومية، مما يؤدي إلى أعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشري "

وقاية من الدوالي:

مرض دوالي الساقين عبارة عن خلل شائع في أوردة الساقين، يتمثل في ظهور أوردة غليظة ومتعرجة وممتلئة بالدماء المتغيرة اللون على طول الطرفين السفليين، وهو مرض يصيب نسبة

ليست بضئيلة من البشر، بين عشرة إلى عشرين بالمائة من مجموع سكان العالم، وفي بحث علمي حديث تم إثبات علاقة وطيدة بين أداء الصلاة وبين الوقاية من مرض دوالي الساقين .

يقول الدكتور " توفيق علوان" الأستاذ بكلية طب الإسكندرية: بالملاحظة الدقيقة لحركات الصلاة، وجد أنها تتميز بقدر عجيب من الانسيابية والانسجام والتعاون بين قيام وركوع وسجود وجلوس بين السجدتين، وبالقياس العلمي الدقيق للضغط الواقع على جدران الوريد الصافن عند مفصل الكعب كان الانخفاض الهائل الذي يحدث لهذا الضغط أثناء الركوع يصل للنصف تقريبا .

أما حال السجود فقد وجد أن متوسط الضغط قد أصبح ضئيلا جدا، وبالطبع فإن هذا الانخفاض ليس إلا راحة تامة للوريد الصارخ من قسوة الضغط عليه طوال فترات الوقوف. إن وضع السجود يجعل الدورة الدموية بأكملها تعمل في ذات الاتجاه الذي تعمل به الجاذبية الأرضية، فإذا بالدماء التي طالما قاست في التسلق المرير من أخمص القدمين إلى عضلة القلب نجدها قد تدفقت منسكبة في سلاسة ويسر من أعلى إلى أسفل، وهذه العملية تخفف كثيرا من الضغط الوريدي على ظاهر القدم من حوالي (100 – 120 سم/ماء) حال الوقوف إلى 1.33) سم/ ماء) عند السجود، وبالتالي تنخفض احتمالات إصابة الإنسان بمرض الدوالي الذي يندر فعلا أن يصيب من يلتزم بأداء فرائض الصلاة ونوافلها بشكل منتظم وصحيح .

الصلاة وتقوية العظام:

تمر العظام في جسم الإنسان بمرحلتين متعاقبتين باستمرار، مرحلة البناء تليها مرحلة الهدم ثم البناء وهكذا باستمرار، فإذا ما كان الإنسان في طور النمو والشباب يكون البناء أكثر فتزداد العظام طولا وقوة، وبعد مرحلة النضوج ومع تقدم العمر يتفوق الهدم وتأخذ كمية العظام في التناقص، وتصبح أكثر قابلية للكسر، كما يتقوس العمود الفقري بسبب انهيارات الفقرات ونقص طولها ومتانتها .ويرجع نشاط العظام وقوتها بشكل عام إلى قوى الضغط والجذب التي تمارسها العضلات وأوتارها أثناء انقباضها وانبسا طها، حيث إن هذه العضلات والأوتار ملتصقة وملتحمة بالعظام .وقد ثبت مؤخرا أنه يوجد داخل العظم تيار كهربي ذو قطبين مختلفين يؤثر في توزيع وظائف خلايا العظم حسب اختصاصها، خلايا بناء أو خلايا هدم، كما يحدد بشكل

كبير أوجه نشاط هذه الخلايا، وأثبتت التجارب أن في حالة الخمول والراحة يقل هذا التيار الكهربي مما يفقد العظام موادها المكونة لها فتصبح رقيقة ضعيفة، وحتى في السفر إلى الفضاء أثبتت التجارب أنه في الغياب التام للجاذبية تضعف العضلات وترق العظام نتيجة عدم مقاومتها لعبء الجاذبية الأرضية .من هذا نستنتج أن الراحة التامة تصيب العظام بضمور عام، ذلك أن فقدان الحركة يؤدي إلى نشاط الخلايا الهدامة وضعف في خلايا البناء، مما يؤدي إلى نقص المادة العظمية .

وهنا يأتي سؤال: هل يمكن أن تمر بالمسلم أيام فيها راحة متصلة وخمول طويل لجسمه ؟ وهل يمكن أن يتوقف ذلك التيار الكهربي المجدد لنشاط العظام في جسده ؟

إن أداء سبع عشرة ركعة يوميا هي فرائض الصلاة، وعدد أكثر من هذا هي النوافل لا يمكن إلا أن يجعل الإنسان ملتزما بأداء حركي جسمي لا يقل زمنه عن ساعتين يوميا، وهكذا وطيلة حياة المسلم لأنه لا يترك الصلاة أبدا فإنها تكون سببا في تقوية عظامه وجعلها متينة سليمة، وهذا يفسر ما نلاحظه في المجتمعات المحافظة على الصلاة –كما في الريف المصري مثلا – من انعدام التقوس الظهري تقريبا والذي يحدث مع تقدم العمر ،كما يفسر أيضا تميز أهل الإسلام الملتزمين بتعاليم دينهم صحيا وبدنيا بشكل عام، وفي الفتوحات الإسلامية على مدار التاريخ والبطولات النادرة والقوة البدنية التي امتاز بها فرسان الإسلام ما يغني عن الحديث، ولن يعرف غير المسلم قيمة الصلاة إلا حين يصلي ويقف بين يدي الله خاشعا متواضعا يعترف له بالوحدانية ويعرف له فضله وعظمته، فتسري في قلبه وأوصاله طاقة نورانية تدفع العبد دائما للأمام على صراط الله المستقيم (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

الصلاة كعلاج نفسي:

تساعد الصلاة الخاشعة على تهدئة النفس وإزالة التوتر لأسباب كثيرة، أهمها شعور الإنسان بضآلته وبالتالي ضآلة كل مشكلاته أمام قدرة وعظمة الخالق المدبر لهذا الكون الفسيح، فيخرج المسلم من صلاته وقد ألقى كل ما في جعبته من مشكلات وهموم، وترك علاجها وتصريفها إلى الرب الرحيم، وكذلك تؤدي الصلاة إلى إزالة التوتر بسبب عملية تغيير الحركة المستمر فيها، ومن

المعلوم أن هذا التغيير الحركي يحدث استرخاء فسيولوجيا هاما في الجسم، وقد أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أي مسلم تنتابه حالة من الغضب، كما ثبت علميا أن للصلاة تأثيرا مباشرا على الجهاز العصبي، إذ أنها تهدئ من ثورته وتحافظ على اتزانه، كما تعتبر علاجا ناجعا للأرق الناتج عن الاضطراب العصبي .

ويقول الدكتور " توماس هايسلوب " : "إ ن من أهم مقومات النوم التي عرفتها في خلال سنين طويلة من الخبرة والبحث الصلاة، وأنا ألقي هذا القول بوصفي طبيبا، فإن الصلاة هي أهم وسيلة عرفها الإنسان تبث الطمأنينة في نفسه والهدوء في أعصابه ".

أما الدكتور " إليكسيس كارليل" الحائز على جائزة نوبل في الطب فيقول عن الصلاة: " إنها تحدث نشاطا عجيبا في أجهزة الجسم وأعضائه ، بل هي أعظم مولد للنشاط عرف إلى يومنا هذا، وقد رأيت كثيرا من المرضى الذين أخفقت العقاقير في علاجهم كيف تدخلت الصلاة فأبرأتهم تماما من عللهم، إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط، ولقد شاهدت تأثير الصلاة في مداواة أمراض مختلفة مثل التدرن البريتوني والتهاب العظام والجروح المتقيحة والسرطان وغيره "

أيضا يعمل ترتيل القرآن الكريم في الصلاة حسب قواعد التجويد على تنظيم التنفس خلال تعاقب الشهيق والزفير، وهذا يؤدي بدوره إلى تخفيف التوتر بدرجة كبيرة، كما أن حركة عضلات الفم المصاحبة للترتيل تقلل من الشعور بالإرهاق وتكسب العقل نشاطا وحيوية كما ثبت في بعض الأبحاث الطبية الحديثة .

وللسجود دور عميق في إزالة القلق من نفس المسلم، حيث يشعر فيه بفيض من السكينة يغمره وطوفان من نور اليقين والتوحيد. وكثير من الناس في اليابان يخرون ساجدين بمجرد شعورهم بالإرهاق أو الضيق والاكتئاب دون أن يعرفوا أن هذا الفعل ركن من أركان صلاة المسلمين .

فوائد طبية أخرى:

ومن فوائد الصلاة أنها تقوي عضلات البطن لأنها تمنع تراكم الدهون التي تؤدي إلى البدانة و الترهل، فتمنع تشوهات الجسم وتزيد من رشاقته. والصلاة بحركاتها المتعددة تزيد من حركة الأمعاء فتقلل من حالات الإمساك وتقي منه، وتقوي كذلك من إفراز المرارة .

وضع الركوع والسجود وما يحدث فيه من ضغط على أطراف أصابع القدمين يؤدي إلى تقليل الضغط على الدماغ، وذلك كأثر تدليك أصابع الأقدام تماما، مما يشعر بالاسترخاء والهدوء. والسجود الطويل يؤدي إلى عودة ضغط الدم إلى معدلاته الطبيعية في الجسم كله، ويعمل على تدفق الدم إلى كل أجهزة الجسم

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في آفاق العبادة و الصلاة مقاصدها آن لنا أن نبين أهم النتائج:

1 – تبين لنا العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة و الباطنة، و هي تتضمن غاية الذل لله تعالى مع المحبة له.

2 – المراد بمقاصد العبادة هي المعاني و الأسرار و الحكم و الغايات الملحوظة في العبادات الواردة في القران الكريم.

3 – الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالا لأمر الله ، و أداء لحقه على عباده، و شكرا على نعمائه.

4 – أن العلم بمقاصد العبادات يزيد القائم بها اطمئنانا لعظم أمرها، و أن الفقه بآثارها يضاعف من ثمارها في نفس فاعلها.

5 – أن المقصد الأعظم و الباعث الأساسي للعبادة هو استحقاق الله تعالى لدلك، تحقيقا للغاية التي من اجلها خلق الإنس و الجن.

6 – حصول التقوى من أهم مقاصد العبادة المتعلقة بالفرد المسلم لأنها الحاجز الذي يمنع الإنسان من الوقوع في المعاصي.

7 – من مقاصد الصلاة أنها تعود المؤمن مراقبة الله و خشيته.

8 – من مقاصد الصلاة أنها تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة المشقات و على مقاومة الجزع عند الشر و المنع عند الخير.

هذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث. أما التوصيات فهي:

1 – الاهتمام بالعبادات الشرعية فقها و مضمونا، و معرفة مقاصدها و مالاتها.

2 – تعديل مناهج مادة التربية الإسلامية لتتضمن أحكام العبادات مع مقاصدها.

3 – إعادة صياغة المقررات الدراسية في الجامعات بحيث تحظى الآثار التربوية للعبادات بالعناية اللازمة.

4 – توجيه الخطباء في وزارات الأوقاف و هيئاتها إلى بيان دور العبادات في بناء الفرد المسلم و المجتمع المسلم.

5 – أن تقوم الهيئات الإسلامية بتقديم الإسلام إلى الغرب و الشرق بأساليب جديدة تظهر مقاصد و آثار العبادات في الإسلام.

الموضوع	رقم الصفحة

إهداء	
شكر و تقدير	
المقدمة	
المبحث الأول: مفهوم مقاصد الشريعة	01
المطلب الأول: تعريف مقاصد الشريعة و أدلة مشروعيتها	01
أولا:تعريف مقاصد الشريعة الإسلامية	01
ثانيا: الأدلة على إثبات مقاصد الشريعة	05
المطلب الثاني: أقسام و خصائص و فوائد المقاصد	06
أقسام المقاصد	06
خصائص مقاصد الشريعة	10
فوائد مقاصد الشريعة	12
تطبيق مقاصد الشريعة في الأحكام الفقهية	14
المبحث الثاني: العبادة في الإسلام	15
المطلب الأول: حقيقة العبادة في الإسلام	16
تعريف العبادة	13
ثانيا: أركان و خصائص العبادة	17

فهرس الموضوعات

أولا: خصائص العبادة	19
تَأْثِيرُ الوضُوءِ على النَّفْس	52
المطلب الثاني: أسرار العبادات	24
أولا:توقيفية العبادات	24
توقيفية العبادات لا يعني خلوها من الحكم	26
ثانيا:غاية العبادات	28
المبحث الثالث: الصلاة في الإسلام و مقاصدها	36
المطلب الأول: الصلاة في الإسلام	36
أولا:منزلة الصلاة في الإسلام	37
مفهوم الصلاة	31
حكم الصلاة	37
أهمية الصلاة في الإسلام	40
خصائص الصلاة في الإسلام	46
ثانيا:أفعال الصلاة و ما فيها من حكم	52

حكْمَةُ التَّوَجُّه إلى القبْلَة	56
حقيقة التكبير	57
الخشوع في الصلاة	72
المطلب الثاني: مقاصد الصلاة	78
أولا: الحكم المتعلقة بالصلاة	78
الحكمة من فرض الصلوات الخمسة	78
الصّلَواتُ الخمسُ ليست كثيرة	79
الحكم من الصلوات الخمس	81
صَلاَة الجَماعَة	84
الحكم المتعلقة ببعض الصلوات	88
ثانيا: ثمرات الصلاة	90
الثمرات العاجلة	90
الثمرات الآجلة	94
فائدَة الصَّلاة الصّحيَّة	96
الخاتمة	

فهرس المصادر و المراجع

أولا: القران الكريم

ثانيا: الكتب

1. إبراهيم مصطفى و آخرين ،المعجم الوسيط.تحقيق: مجمع اللغة العربية (ط:01؛ دار الدعوة).
2. لابن منظور ، لسان العرب (ط:03؛بيروت: دار صادر،1414ه)
3. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية.(ط:03؛ دار العلم للملايين،1404ه).
4. شريف علي بن محمد الجرجاني ،التعريفات،تحقيق: إبراهيم الابياري .(ط:01؛بيروت: دار الكتاب العربي،1405ه).
5. نور الدين الخادمي, علم المقاصد الشرعية.(ط:01؛الرياض: مكتبة العبيكان،1421ه).
6. محمد الطاهر ابن عاشور, مقاصد الشريعة.تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة،(ط:01؛قطر: وزارة الأوقاف القطرية،1425ه).
7. احمد الريسوني, نظرية المقاصد عند الشاطبي.(ط40:معهد العالمي للفكر الإسلامي،أمريكا،1415ه).
8. ابن القيم، مفتاح دار السعادة.تحقيق: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي(ط:01؛بيروت: دار الكتب العلمية).
9. محمد اليوبي, مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة الشرعية. (ط:01؛الرياض: دار الهجرة،1418ه).
10. ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي،الموافقات.تحقيق: بن حسن آل سليمان.ج2(ط:01؛ دار ابن عفان،1417ه).
11. ابن القيم ،شفاء العليل. (ط:01؛بيروت: دار المعرفة،1398ه).
12. ابن تيمية، جامع الرسائل.تحقيق: محمد رشاد سالم (ط:01؛الرياض: دار العطاء،1422ه).
13. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام.(ط:02؛ مؤسسة الرسالة).
14. ابن تيمية ،العبودية.تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي(ط:03؛مصر: دار الأصالة،1419ه).
15. عفيف عبد الفتاح طباره ،روح الصلاة في الإسلام.(ط:07؛بيروت: دار العلم للملايين،1397ه).
16. ابن القيم,إغاثة اللهفان.(ط:01؛جدة: مجمع فقه الإسلامي،1432ه).
17. قطب الدين القسطلاني,مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة.تحقيق:محمد صديق المنشاوي(ط:01؛القاهرة: دار الفضيلة).
18. ابن القيم.دوق الصلاة.(ط:02؛الرياض: دار الحضارة،1430ه).

فهرس الآيات القرآنية

الآية أو شطرها	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة (1)		
{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }	05	13
سورة البقرة (2)		
{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}	179	06
{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}	185	06
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ }	21	16
{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى }	222	22
{ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }	172	23
{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}	238	31
{وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}	43	31
سورة ال عمران (3)		
{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }	97	20
سورة النساء (4)		
{إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا}	103	33
{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً}	142	35
سورة المائدة (5)		
{ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }	6	22
{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }	48	01
سورة الأنعام (6)		
{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }	153	05
سورة الأعراف (07)		
{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}	156	04

سورة التوبة (09)		
{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا }	103	22
سورة هود (11)		
{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}	07	26
سورة الرعد (13)		
{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ }	15	24
سورة إبراهيم (14)		
{ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ }	40	36
سورة النحل (16)		
{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }	18	23
{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }	36	03
سورة الإسراء (17)		
{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}	78	31
سورة الكهف (18)		
{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }	07	26
سورة مريم (19)		
{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}	55	35
{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}	59	35
سورة الحج (22)		
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }	77	24
{ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ }	28	22
سورة النور (24)		
{ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }	51	17
{ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}	37	28

طرف الحديث	رقم الصفحة
بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة	32
لا يتفل أحدكم قبل وجهه فان الله قبل وجهه	32
وأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة	33
بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله	33
خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن	33
أليست إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم	33
الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم	35
مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين	36
من نسي صلاةً فليصلِّها إذا ذكرها	36
أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم	37
استقيموا و لن تحصوا و اعملوا	37
إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة	44
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة	44
إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان	45
إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه	47
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	60
فإذا قلت ذلك فقد قضيت صلاتك	65
أول ما تفقدون من دينكم الخشوع	67
ما من مسلم يتوضأ فيُحسن الوضوء	67